



الهيئة العامة للتعليم التطبيقي والتدريب

قسم اللغة العربية وآدابها

كلية التربية الأساسية

علم الدلالة

المختصر

محمود أحمد أمين

قائمة المحتويات

الصفحة	الموضوع
٣	مقدمة علم الدلالة - تعريفه - موضوعه
٤	لمحة موجزة عن علم الدلالة جهود علماء العرب - جهود علماء الغرب
٨	مجالات علم الدلالة علاقة علم الدلالة بعلم اللغة ، وعلم الرموز
١٠	اللغة ووظائفها تعبيرية - إيعازية - مرجعية - فوق لغوية - شعرية - قولية
١٢	ماهية الدلالة الكلمة والشيء - المدلول والمفهوم - المفهوم والمرجع - المفهوم والقيمة - الدلالة والسياق
١٤	علاقة اللفظ بالمعنى آراء اللغويين قديمًا وحديثًا : طبيعة - اعتباطية - عرفية واجتماعية
١٧	النظرية السياقية مفهوم السياق - أنواع السياقات
١٩	أنواع الدلالة الصوتية والصرفية والمعجمية والتركيبية والسياقية
٢١	الوحدات الدلالية الفونيم - المورفيم - التركيب - الجملة
٢٤	المساحة الدلالية والفروق الدلالية
٢٥	نظرية الحقول الدلالية أمثلة للحقول - توزيع الكلمات على الحقول - العلاقات بين كلمات الحقل
٢٩	التطور الدلالي مفهوم التطور اللغوي - أسباب التطور - أنماط التطور
٣٥	الدلالة والمصطلح العلمي المصطلح في اللغة - المصطلح في المعاجم - طرق صياغة المصطلح
٤١	العرف اللغوي لغة واصطلاحًا - العرف اللغوي العام - العرف اللغوي الخاص
٤٣	الرصيد اللغوي وأنواعه تنمية الرصيد اللغوي - أنواع الرصيد اللغوي
٤٥	الدلالة والأدب علاقة التطور الدلالي بالأدب - الدلالة والصورة الأدبية - الرمز اللغوي والرمز الأدبي
٤٩	الاستعارة اللغوية والاستعارة الأسلوبية التحول الدلالي في الاستعارة - بين الاستعارة اللغوية والاستعارة الأسلوبية
٥١	المعجم الشعري تعريفه - أوجه الشبه بينه وبين المعجم اللغوي - أسس بناء المعجم الشعري

مقدمة

علم الدلالة:

أطلقت عليه عدة أسماء في اللغة الإنجليزية أشهرها الآن كلمة Semantics ، أما في اللغة العربية فبعضهم يسميه علم الدلالة [وتضبط بفتح الدال وكسرهما]. وبعضهم يسميه علم المعنى ، (ولكن حذار من استخدام صيغة الجمع والقول : (علم المعاني) لأن الأخير فرع من فروع البلاغة ، وبعضهم يطلق عليه اسم السيمانتيك ، أخذًا من الكلمة الإنجليزية أو الفرنسية .

تعريفه :

ذكر د. أحمد مختار عمر عدة تعريفات له ، منها : أنه دراسة المعنى (Meaning) ، أو العلم الذي يدرس المعنى، أو ذلك النوع من علم اللغة الذي يتناول نظرية المعنى، أو ذلك النوع الذي يدرس الشروط الواجب توافرها في الرمز حتى يكون قادرًا على حمل المعنى .

وهذا العلم من مجموعة الدراسات اللغوية ، وهو يدرس المعنى، ومناهج استخراجها من اللفظ، كما يدرس أنواع الدلالة وتطورها، والعلاقة بين الألفاظ ومعانيها، ووظائف الصيغ الصرفية ، وإذا كان علم الدلالة فرعًا من فروع علم اللغة فإنه يعتبر غاية الدراسات الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية .

موضوعه :

مما سبق يمكن القول إن موضوع علم الدلالة أي شيء، أو كل شيء يقوم بدور العلامة أو الرمز ، وهذه العلامات أو الرموز قد تكون علامات على الطريق، وقد تكون إشارة باليد أو إيماء بالرأس، مثل : حمرة الوجه للدلالة على الخجل، والتصفيق علامة الاستحسان، وعلامات الترقيم، ورسم فتاة مُغمضة العينين تُمسك ميزانًا لرمز العدالة. وقد تكون كلمات وجملًا.

وقد عرف بعضهم (الرمز) بأنه مثيرٌ بديلٌ ، يستدعي لنفسه نفس الاستجابة التي قد يستدعيها شيء آخر عند حضوره ، مثل صوت الجرس الذي يسمعه الكلب ، فينطلق إلى الطعام ، ولا ينطلق إلى الجرس نفسه (رمز غير لغوي) ، وكذلك مثل لافتة وسط الطريق ، مكتوب عليها " الطريق مغلق " ، فعندما يراها السائق ، فإنه سوف يستدير للخلف (رمز لغوي) .

وبعبارة أخرى قد يكون موضوع علم الدلالة العلامات أو الرموز غير اللغوية التي تحمل معنى ، كما قد يكون العلامات أو الرموز اللغوية .

ورغم اهتمام علم الدلالة بدراسة الرموز وأنظمتها حتى ما كان منها خارج نطاق اللغة ، فإنه يركز على اللغة من بين أنظمة الرموز باعتبارها ذات أهمية خاصة بالنسبة للإنسان. ومن أجل هذا قيل إن الكلمات رموز لأنها تمثل شيئًا غير نفسها وعرفت اللغة بأنها : نظام من الرموز الصوتية العرفية .

ولما كان النشاط الكلامي ذا الدلالة الكاملة لا يتكون من مفردات فحسب ، وإنما من أحداث كلامية أو جملاً تتحدد معالمها بسكتات أو وقفات أو نحو ذلك ، فإن علم المعنى لا يقف فقط عند معاني الكلمات المفردة ؛ لأن الكلمات ما هي إلا وحدات يبني منها المتكلمون كلامهم ، ولا يمكن اعتبار كل منها حدثًا كلاميًا مستقلاً قائمًا بذاته .

لمحة تاريخية موجزة عن علم الدلالة

جهود اللغويين العرب في دراسة المعنى :

كان البحث في (دلالات الكلمات) من أهم ما لفت انتباه اللغويين العرب وأثار اهتمامهم. وتعد الأعمال اللغوية المبكرة عند العرب من مباحث علم الدلالة مثل : تسجيل معاني الغريب في القرآن الكريم ، ومثل الحديث عن مجاز القرآن ، ومثل إنتاج المعاجم الموضوعية ومعاجم الألفاظ. وحتى ضبط المصحف بالشكل ، يعد في حقيقته عملاً دلالياً ؛ لأن تغيير الضبط يؤدي إلى تغيير وظيفة الكلمة ، وبالتالي إلى تغيير المعنى .

أي أن إرهاباً هذا العلم عند العرب قديمة قدم دراستهم اللغوية ، و (المعنى) عندهم هو غاية الدراسات اللغوية ، ومع ذلك لا نجد أي ذكر لمصطلح (علم الدلالة) بمفهومه الحديث في كتب التراث اللغوي ولا تعريف له ، بالرغم من وجود كثير من النصوص في كتبهم النقدية واللغوية تشير إلى وعيهم بهذا العلم ، وإدراكهم لأهم المرتكزات التي يقوم عليها علم الدلالة .

فقد تميزت تلك الدراسة عند العرب بغناها وتشعب بحوثها ونظرياتها ، ولامس العرب هذا العلم بشكل عملي وتطبيقي في مؤلفاتهم ، فتحدثوا عن المعنى كثيراً ، إلا أن (المعنى) غير (دراسة المعنى) ؛ لأن المراد بالمعنى «الشيء الذي يفيد لفظه» ، أما دراسة المعنى فهي " مجموع العلاقات التي تحتشد فيها الروابط والنفقات في سياق معين لإنتاج المعنى " .

ولعل أول محاولة لامست تعريف هذا العلم وردت في نص الجاحظ في كتابه (البيان والتبيين) عند تعريفه للبيان بقوله : « البيان اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى ، وهتك الحجاب دون الضمير ، حتى يفضي السامع إلى حقيقته ، ويهجم على محصولة كائناً ما كان ذلك البيان ، ومن أي جنس كان الدليل ، لأن مدار الأمر والغاية التي إليها يجري القائل والسامع إنما هو الفهم والإفهام ، فبأي شيء بلغت الإفهام وأوضحت عن المعنى فذلك هو البيان في ذلك الموضع " .

ويمكن إعادة صياغة النص السابق بمصطلحات علم الدلالة الحديث بقولنا : إن الدلالة هي إنتاج المعنى في نص شكلت علاماته نسقاً كلياً من دوال ودلالات أنتجه الباحث إرادياً ضمن شروط وظروف معينة من أجل الإيضاح عن قصد ما ، وأي نص مهما كانت ماهيته لا يُنتج لمجرد اللغو ، إنما بهدف الإبلاغ والتوصيل ، فمتى بلغت هذا الهدف يظهر لك المعنى جلياً وتكشف حقيقته .

كما أن عبد القاهر الجرجاني الذي ألف كتاباً بعنوان (دلائل الإعجاز في علم المعاني) لم يورد تعريفاً لدراسة المعنى ، علماً بأنه كان يشير في أكثر من موضع إلى قضايا كثيرة تخص علم الدلالة ، فتحدث - مثلاً - عن ربط الألفاظ بالدلالة ، وأكد أن تلك الألفاظ تشكل بمجموعها نسقاً من العلامات ، وهذا النسق هو الذي ينتج الدلالة ، وتكون بدورها أساس هذا النظام المنجز ، ومتى انخلعت هذه الألفاظ من دلالتها لم يعد فيها ترتيب أو نظم .

ومع اتساع الأفق العلمي في القرن الثالث الهجري ، ودخول النقد على الدراسات اللغوية ، استطاع علماء اللغة العربية أن يثبتوا أهم المرتكزات الأساسية التي يقوم عليها هذا العلم. فقاموا بدراسة المعنى من خلال شرحهم للنصوص الأدبية وتفسيرها وبيان كيفية أدائها للمعنى ، ودور القرائن الحالية (المقام) ، والقرائن المقالية (المقال) ، في توجيه الدلالة وأهمية السياق في إبراز المعنى .

وإذا كان سياق الحال يشكل الأساس المتين لعلم الدلالة ، فإن العلامة ابن جني سُجلت له الريادة في ذلك ، وكان له قصب السبق في معالجته لسياق الحال ، ولمعظم بحوث علم الدلالة ، فتحدث عن دور اللفظة داخل سياقها ، والعلاقة التي تربط بين الدال والمدلول اللذين يكونان العلامة ، وتطرق إلى أنواع الدلالات ، وأهمية اتساقها وانسجامها مع بعضها لإنتاج المعنى .

ولم يكن اللغويون والنقاد الوحيدون الذين احتضنوا هذه الدراسات، بل إن المساهمات الكثيرة السباقة لعلماء الأصول والفقه والتفسير أثرت هذا العلم إثراء كبيراً ، والعالم بأبحاث الأصوليين - فيما يخص الدلالة - يسند أصول هذا العلم إلى البحث الأصولي والفقهية، فلا يكاد يخلو مؤلف من مؤلفاتهم من مباحث هذا العلم .

ويرجع سبب اهتمام علماء الأصول به إلى محاولة استنباط الأحكام التي يقوم عليها التشريع ، بناء على أدلة تقتضي معرفة دلالة الألفاظ ومعانيها ، ليعرف المقصود من نصوص الكتاب المقدس . فأدركوا حقيقة العلاقة : بين الدال والمدلول وعرفوا الدلالة بأنها : « كون الشيء بحيث يلزم من العلم به العلم بشيء آخر » ، ويفهم من هذا التعريف أنه إذا تحقق العلم (بالدال) ترتب عليه العلم (بالمدلول) ، ولا يمكن تصور دال بدون مدلول ، كما لاحظوا دور السياق في تحديد المعنى بصورة دقيقة ، وتحدثوا عن أثر السياقات المقالية والمقامية في إنشاء دلالة أي نص .

وأخيراً يمكن القول : إن علم الدلالة يُشكّل ذروة الدراسات اللغوية التي وصل إليها علماء اللغة . ويلتقي في هذا العلم علماء الغرب مع علماء العربية القدماء في كثير من موضوعاته وعناصره، إلا أن تلك البحوث لم تكن مؤطرة بإطار علم الدلالة بمفهومه اليوم، بل جاءت مبثوثة في كتبهم اللغوية والنقدية أثناء معالجتهم قضايا اللغة بشكل عام.

جهود علماء الغرب في دراسة الدلالة :

إذا كانت الدراسة الدلالية العربية قد بدأت مبكرة عند العرب مع نزول القرآن الكريم للبحث عند تفسير ألفاظ غريب القرآن ، فإن الدراسات الأوروبية لم يكن لها ذكر حتى نهاية القرن التاسع عشر ، حيث أخذت هذه الدراسات مكانها شيئاً فشيئاً حتى أصبحت قمة الدراسات اللغوية في وقتنا الحاضر .

وكان علم الدلالة في بداية حضوره عند الغرب يُدرس وفق معطيات فلسفية وتاريخية إلى أن أقر دي سوسير عام (١٩١٦م) في كتابه « محاضرات في اللسانيات العامة » أن " Semiologie " هو العلم الذي يدرس حياة العلامات في أي مجتمع ، ويبين الأنظمة والقوانين التي تحكمها ، منطلقاً من ثنائية (الدال والمدلول) ،

وثنائية (اللغة والكلام) ؛ ليدرس في ضوء هذه المفاهيم أنظمة التواصل ، والعلاقات القائمة بين المرسل والمتلقي.

ولقد مرَّ مصطلح علم الدلالة Semantic بمراحل كثيرة ، وتقلبت عليه مناهج متعددة قديمة وحديثة ، ولم يكن هذا المصطلح حديث العهد ؛ فالنحاة الأوربيون منذ مطلع القرن التاسع عشر الميلادي كانوا يستعملون عبارة " Semasiologie " لتعني دراسة الدلالات اعتماداً على الجذر الإغريقي "Sema" أي علامة ، ثم تولّد من هذه اللفظة الإغريقية - فيما بعد - كثيراً من المفردات اللسانية والدلالية مثل : الدليل، والإشارة ، والرمز ، والدلالة ... إلخ .

واستبدل اللساني الفرنسي ميشال بريال في أواخر القرن التاسع عشر بعبارة " Semasiologie " عبارة "Semantique" ليعني بها علم الدلالة أو القوانين التي تعمل على تحويل المعاني ، ووُصفت دراسته في ذلك الحين بأنها تطويرية [تاريخية أو زمانية] ، تهدف إلى دراسة تغيرات المعنى، واستكشاف أسبابها وتصنيفها وتحليلها تحليلًا تطوريًا مهماً الدراسة التزامنية [الوصفية أو الآنية] لدلالة الكلمات.

ورغم تأكيد ميشال بريال دائماً أن مثل هذا العلم تعود أصوله إلى الدرس البلاغي ، فإنه في النهاية استطاع ضم (الدلالة) إلى حدود (اللسانيات) ، وجعلها تتسم بالصفة العلمية ، وأصبحت بذلك علماً مستقلاً بذاته .

وارتبط ظهور هذا المصطلح أيضاً بجهود الفيلسوف الأمريكي ساندريس بيرس (١٨٣٩م - ١٩١٤م) على اعتبار أنه يدرس الرموز ودلالاتها وعلاقاتها في جميع الأشياء والموضوعات التي حوله . فهي في نظره (علم الإشارة) الذي يشمل جميع العلوم الإنسانية والطبيعية الأخرى.

وحين ظهر كتاب فردينان دي سوسير (محاضرات في اللسانيات العامة) كان قد اقترح فيه قيام علم يحمل عنوان (علم العلامات) " Semilogie " ، وبين فيه أن هذا العلم سيعنى بمكونات العلامات وبالقوانين التي تحكمها في أي نظام علامي كيفما كانت ماهيته .

ومن هنا وضعت لفظة " Semiotics " مقابل لفظة " Sémiologie " وأصبحت اللفظتان كلتاهما تُستخدمان للإشارة إلى (علم العلامات) ، علماً بأن الفيلسوف بيرس شمل بمصطلحه علامات كل العلوم ، في حين نجد دي سوسير حدد من خلال حديثه عن هذا العلم العلامة اللغوية فقط .

وإذا تأملنا كتابات الباحثين المعاصرين حول ترجمتهم لهذا المصطلح وتحديده، وجدنا أنفسنا أمام فيض واسع من المصطلحات والمفاهيم المتعلقة بهذا العلم ؛ فنقرأ عن هذا المصطلح : السيميولوجيا ، والسيميائية ، والسيمياء ، وعلم العلامات ، وعلم الرموز ، وعلم الإشارة ، والدلائلية ، وعلم الدلالة ، وعلم الأدلة ، وعلم الدلالات .

(علم الدلالة) د. محمود أحمد أمين حسن

وكل هذه المسميات تصف ظاهرة علمية واحدة تتعلق بدراسة أنظمة العلامات والقوانين التي تحكمها كل الإشارات الدالة في المجتمع ، لغوية أم غير لغوية ، في حين يختص علم الدلالة بدراسة العلاقات التي تحكم العلامات اللغوية في أي نص داخل سياق معين ، وفي فترة زمنية محددة .

وأحدث دي سوسير نقلة نوعية في مجال الدراسة الدلالية ، وقلب الدراسات الدلالية التطورية التاريخية إلى دراسات وصفية تقوم على بيان العلاقات المعنوية الثابتة في أي نص ، وذلك عندما اعتبر " اللغة نسق من العلامات المحملة بالدلالات والتي بواسطتها يتم يصال المعنى " .

وجاء بعد دي سوسير علماء أمثال فيرث وأولمان وليونز وبالمير ، وعمقوا دراساتهم الدلالية ، فدرسوا المعنى ضمن سياق لغوي ومقامي ، أو ما سموه بسياق الحال Context of situation ، ووضعوا بعين الاعتبار كل ما يتصل بهذا المقام من عناصر وظروف وملابسات وقت الحدث الكلامي .

مجالات علم الدلالة

اختلف الباحثون في دراسة هذا العلم ، فبعضهم يرى أن مجال علم الدلالة هو دراسة المعنى المعجمي ، ومعناه ضمن هذا الإطار هو المعنى المحدد والثابت ، ولا علاقة للسياق في تحديده عند انتظام اللفظة في نسق علامي ما ، باعتبار أن الكلمات ترتبط دائماً (بدوال) مادية ، وأي علامة لغوية هي نواة لمعنى ثابت .

وهناك من يرى أن دلالة أي حدث لغوي لا يمكن أن تقتصر على المعنى المعجمي للكلمة الواحدة ؛ لأن المعنى المعجمي للكلمة الواحدة لا يمثل إلا جانباً محدوداً من دلالاتها ، ولا يمكن فهم المعنى الكامل لنص معين أو لفظ ما من معناها المعجمي ؛ لأن ورودها في سياقات متعددة يجعل لها معاني كثيرة ، وكل كلمة لها معنيان معنى أساسي ومعنى سياقي يتحدد وفق المواقف والظروف التي ترد فيها كل كلمة . لذلك يهتم هذا الفريق بتراكيب العلامات التي تظهر في الألسن الطبيعية ، وبتقصي العلاقات الدلالية بين العلامات اللغوية ، على أن تنتظم هذه العلامات في السياق الكلامي المحدد لمعناها . فأى علامة لغوية تنتظم مع غيرها تُكوّن الكلمة ، والكلمات تُكوّن الجمل ، حتى يتحدد التأليف الكلي للنص ، وعندئذ تعيش الجمل في سياق اجتماعي وثقافي حاملة معها دلالاتها .

ولقد استطاع علم الدلالة الغربي في الآونة الأخيرة أن يشق طريقه في التطور ، ويخرج من الأفكار القديمة التي حُدّت له في بدايته ، وهي الدراسة التاريخية لدلالة الألفاظ ، إلى الدراسة الوصفية التي تدرس المعنى وعلاقاته وأنظمته في فترة زمنية ثابتة .

علاقة علم الدلالة بالعلوم الأخرى :

أ (علاقة علم الدلالة بعلم اللغة :

لا يمكن فصل علم الدلالة عن غيره من فروع اللغة . فكما تستعين علوم اللغة الأخرى بالدلالة للقيام بتحليلاتها ، يحتاج علم الدلالة - لأداء وظيفته - إلى الاستعانة بهذه العلوم . فلكي يحدد الشخص معنى الحدث الكلامي لا بد أن يقوم بملاحظات تشمل الجوانب الآتية :

أ - ملاحظة الجانب الصوتي الذي قد يؤثر على المعنى ، مثل وضع صوت مكان آخر ، مثل : استبدال التاء بالباء في كلمة (برك) ، فتصبح (ترك) ، ومثل التنغيم والنبر الذي يحدد دلالة الجملة من الخبر إلى الإنشاء .
ب - دراسة التركيب الصرفي للكلمة ، وبيان المعنى الذي تؤديه صيغتها ، مثل : صيغة (استغفر) ، فلا تدل على العفو والمسامحة ، وإنما تدل على طلب المغفرة .

ج - مراعاة الجانب النحوي ، أو الوظيفة النحوية لكل كلمة داخل الجملة ؛ فعند تغيير ترتيب كلمات الجملة ، تتغير الوظائف النحوية ، نحو : قتل خالدٌ علياً ، وقتل عليٌّ خالدًا . وفي بعض الجمل الأخرى قد تتغير دلالة التركيب كله .

د - بيان المعاني المفردة للكلمات ، وهو ما يُعرف باسم المعنى المعجمي .

هـ - دراسة التعبيرات التي لا يكشف معناها بمجرد تفسير كل كلمة من كلماتها ، والتي لا يمكن ترجمتها حرفيًا من لغة إلى لغة وذلك مثل : (البيت الأبيض) في الولايات المتحدة ، ومثل : (yellow press) للصحافة المعنية بالفضائح والأخبار المثيرة ، ومثل : (خضراء الدمن) ، للمرأة الحسناء في منبت السوء .

ب (علاقة الدلالة بعلم الرموز :

إذا كان علم الدلالة يدرس الرمز ودلالته، فهناك علمٌ قد نشأ، وأشار إليه اللغوي (دي سوسير) وهو علم الرموز ، وهناك مَنْ يُترجمه (بعلم العلامات)، وتذكر معاجم المصطلحات اللغوية أن علم الرموز هو الدراسة العلمية للرموز اللغوية وغير اللغوية، باعتبارها أدوات اتصال، ويُعرفه (دي سوسير) بأنه : العلم الذي يدرس الرموز بصفة عامة، ويعد علم اللغة أحد فروعهِ .

ويضم علم الرموز يضم الثلاث اهتمامات الرئيسية الآتية :

١ - دراسة كيفية استخدام العلامات والرموز كوسائل اتصال في اللغة المعينة .

٢ - دراسة العلاقة بين الرمز وما يدل عليه أو يشير إليه .

٣ - دراسة الرموز في علاقاتها ببعضها ببعض .

وعلى هذا يضم علم الرموز كثيرًا من فروع علم اللغة وبخاصة الدلالة والنحو الأسلوب . كما أنه يعد من الناحية الدلالية وحدها أعم من علم الدلالة لأن الأخير يهتم بالرموز اللغوية فقط ، أما الأول فيهتم بالعلامات والرموز ، لغوية كانت أو غير لغوية .

اللغة ووظائفها

للغة وظائف متعددة ومتنوعة وأشار إلى ذلك كثير من اللغويين بدءًا من ابن جني (٩٣٤م) إلى وقتنا الحاضر، وسوف نستعرض وظائف اللغة من خلال ما طرحه العالم اللغوي الروسي رومان جاكوبسون (*) (١٨٩٦ - ١٩٨٢م) ؛ حيث ذهب إلى أن كل عملية لسانية يتم توجيهها من المرسل إلى المرسل إليه من خلال سياق ما ، وشفرة يدركها كل من المرسل والمرسل إليه ، ويتم ذلك من خلال قناة اتصال بينهما ، تسمح لهما بإقامة التواصل واستمراره .

وجعل جاكوبسون لكل عنصر من العناصر السابقة (المرسل - المرسل إليه - السياق - الرسالة - الشفرة - الاتصال) وظيفة من وظائف اللغة ، وعقّب على ذلك بقوله : من الصعب العثور على رسائل لغوية لا تقوم إلا بوظيفة واحدة من تلك الوظائف . فقد تكون هناك وظيفة (مهيمنة) على رسالة ما ، لكن ينبغي الأخذ بعين الاعتبار المساهمة الثانوية لمختلف الوظائف الأخرى في تلك الرسالة .

وقد أسهبت عالمة اللغوية (آن روبول - ١٩٥٦م) في توضيح وظائف اللغة التي أجملها جاكوبسون ، وذلك على النحو التالي :

١- الوظيفة التعبيرية :

وتُسمى أيضًا بالوظيفية الانفعالية ، وتُستخدم عندما نريد أن نتحدث (عن ذاتنا) ، كما في صرخة الغضب أو التعجب ، أو التهكم ، أو الخوف ، أو الضجر ، أو النطق المطول أو المقصر لبعض مقاطع الكلمات [النبر والتنغيم] . والمرسل هنا ينقل (خبرًا) ، لكن بطريقة مختلفة يفهم المرسل إليه مغزاها .

٢- الوظيفة الإيعازية :

وهي وظيفة (حثية) ؛ حيث يتحدث المرء ليوعز ويحث شخصًا آخر حتى يفعل ما يقوله له ، كما في حالة الأمر ، أو النصيحة ، أو الرجاء ، أو الرفض والمنع .

٣- الوظيفة المرجعية :

هي وظيفة (التسمية أو التعريف) ، فإذا كنّا نتحدث لكي نُخبر أو نُفسّر أو نُدقق أو نُعلّم شيئًا (مرجعًا)، وبعبارة أخرى نتحدث لنُعرف بشيء ، وهذه هي الوظيفة التي نُفكّر فيها قبل كل شيء من الوظائف الأخرى .

٤- الوظيفة فوق اللغوية :

يمكن تسميتها بالوظيفة (الواصفة) ، وهي تُستخدم - أيضًا - في التعريفات والتسميات ، وفي تعلم اللغات المختلفة ، وعندما نتحدث عن اللغة نفسها . وهذه الوظيفة تُستخدم في اللغة العلمية ، والجبر والمنطق ، وفي الحياة اليومية عندما نتساءل - مثلاً - عن قاعدة لعبة ما .

(*) اللغة ، إعداد وترجمة : محمد سبيلا ، عبد السلام بنعبد العالي ، صدر ضمن سلسلة دفاتر فلسفية نصوص مختارة ، دار توبقال ، الدار البيضاء - المغرب ، ط٤ ، ٢٠٠٥م ، ص ٦١ - ٦٧ .

وأرى أن هذه الوظيفة تُسهب في التعريف والتوضيح والشرح ، أكثر من الوظيفة (المرجعية) التي قد تتوقف عند الإخبار بالشيء وتعريفه .

٥- الوظيفة الشعرية :

الخطاب الشعري خطاب إخباري ، لكنه إخباري على طريقته الخاصة ، والوظيفة الشعرية يمكن تسميتها بـ (الوظيفة البلاغية) ، وهي لا تنحصر في الشعر بمعناه المحدد ، بل تشمل التعبير بالجناس والسجع والاستعارة والطباق والأشكال البلاغية الأخرى. والخطاب الشعري خطابٌ غير قابل للترجمة ؛ لأن الترجمة تقوم على إحلال دوال [كلمات] محل دوال أخرى ؛ لأن الشعر ينضوي على إحياء وتضمين أكثر مما يكون مجرد تسمية أو تعريف .

٦- الوظيفة القولية :

والهدف منها إقامة الاتصال أو الحفاظ عليه ، أو قطعه ، في مثل عبارات : " ألو ، هل تسمعي ؟ " ، أو " تحدث بصوت أعلى " ، أو " اسكتوا " .

وسماها جاكوبسون (وظيفة قولية) ؛ ليؤكد أننا لا نتحدث لنقول شيئاً محدداً ، وإنما نتحدث لكي " نتحدث " ، وتظهر هذه الوظيفة في أول ظهورها لدى الأطفال ، والهدف منها الدخول في الجماعة ، وخلق إمكانية التواصل ، ويندرج تحت هذه الوظيفة (عبارات المجاملة) .

ماهية الدلالة

مما سبق علمنا أن الدلالة تعني دراسة المعنى ، أو هي علم دراسة المعنى ، لكن يجب علينا قبل ذلك توضيح المقصود من (المعنى) ، وبعبارة أخرى : هل بإمكاننا الوصول إلى تحديد المقصود بـ (المعنى) لكلمة ما ؟ . وفيما يلي سوف نستعرض جهود اللغويين في توضيح المقصود من (المعنى) كما يلي :

١- الكلمة والشيء :

عند (أفلاطون) معنى كلمة هو كالشيء المدلول عليه بالكلمة ؛ فمعنى الطاولة (Table) هو الموضوع المادي للطاولة.

غير أن هذا التصور للعلامة اللغوية (الكلمة) ليس بالأمر الهين ، لأن هناك عدة إشكاليات ، أو معاني جانبية لا يحملها الموضوع المادي للطاولة ، مثل : معظم الصفات (جيد ، وجميل ، ضعيف .. إلخ) ، والأفعال كالفعل (يمشي ، أو لا يمشي ..) ، أو بعض حروف الجر التي يصلح أن يتعلق الفعل بها . والمشكلة تزداد إذا بحثنا عن معنى كلمة مجردة مثل كلمة (الحرية) التي ليس لها موضوعاً مادياً ملموساً .

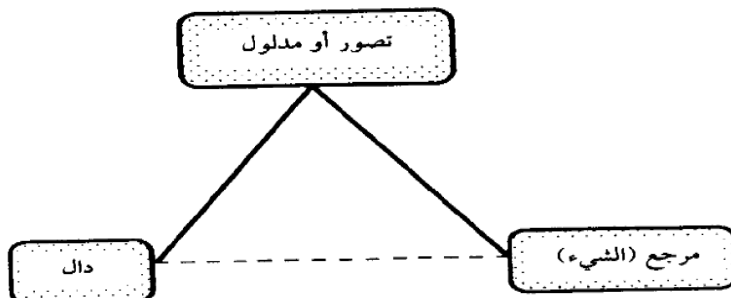
٢ - المدلول والمفهوم (التصور) :

هناك طريقة أخرى لتصوير المعنى (الدلالة) تكون بإنشاء علاقة بين كلمة ما والحقيقة (الموضوع المادي) بواسطة التصورات . وفي هذا المعنى دلالة كلمة (طاولة) لم تعد الموضوع المادي (طاولة) ، ولكنها الفكرة أو التصور (طاولة) .

وأشار إلى ذلك دي سوسير (١٨٥٧ - ١٩١٣ م) معتبراً أن العلاقات اللسانية ذات طبيعة نفسية؛ فذهب إلى أن الكلمة (رمز) ، وقد قسم الرمز إلى قسمين : "الدال" و "المدلول". واعتبر الدال وهو الصوت أو الحرف المكتوب ، وأما المدلول فيقصد به الصورة الذهنية أو الفكرة عن الشيء. وبذلك فالكلمة إشارة أو رمز وليست اسماً لمسمى ، بل هي مركب يربط الدال والمدلول. فمثلاً كلمة شمس هي (الدال) ، والصورة الذهنية لشكل الشمس هو (المدلول = الدلالة) . أي أن الدال هو الصورة الصوتية والمدلول هو ما يتصوره العقل ، والعلاقة بينهما اعتبارية وعرفية ، تعارف أبناء المجتمع عليها .

٣- المفهوم والمرجع :

ذهب ريتشارد وأوجدن في كتابهما (معنى المعنى) الذي نشر ١٩٢٣ م ، إلى أن (مثلث المعنى) يتكون من : دال (الصورة السمعية أو الصوتية لكلمة طاولة) ، والمدلول (التصور أو الفكرة لـ طاولة) ، والمرجع (الموضوع المادي ، أي الطاولة نفسها) . وأعتبر أن هناك علاقة بين الدال والمدلول ، في حين لا توجد علاقة بين الدال والمرجع الخارجي .



وبذلك يمكن القول بأنهما لم يقدموا للدلالة اللسانية أي قيمة إضافة عما قدمه دي سوسير للعلاقة بين

الدال والمدلول

٤- المفهوم والقيمة :

وصاحب هذه المساهمة في تفسير المعنى هو دي سوسير أيضاً ؛ حيث ذهب إلى أن هناك فرقاً بين (مدلول) كلمة وبين (قيمتها) ، ووضح دي سوسير ذلك من خلال مقارنة الكلمات بقطع لعبة الشطرنج ، وذهب إلى أن قيمة الكلمة تتولد من خلال وضعيتها داخل مجموعة النظام اللغوي الذي يشكل اللغة ، والأمر نفسه ينطبق على قطع الشطرنج ، فمثلاً (الفارس) نجد أنه لا يمثل شيئاً في ذاته ، وإنما يستمد قيمته من خلال مقابلته بالقطع الأخرى في اللعبة . وقدم دي سوسير دليلاً على ذلك بأنه يمكن عند فقد قطعة (الفارس) استبدالها بأي شيء آخر (قطعة نقود أو قفل أو قرص ... إلخ) ، وعندئذ سوف تحمل تلك القطعة (قيمة الفارس) في اللعبة .

وبذلك يمكن إيجاز ما سبق بعبارات أخرى : بأن العلاقة بين الدال والمدلول اعتباطية وعرفية ، ويستمد الدال قيمته من خلال وضعيته داخل الجملة .

ودلل دي سوسير على أن المدلول ليس إلا مظهرًا للعلامة ، وأن هناك فرقاً بين (الدلالة والقيمة) ، وذلك من خلال عدة أمثلة منها : أن كلمة خروف (Mouton) في اللغة الفرنسية، وكلمة (Sheep) في اللغة الإنجليزية لهما نفس المعنى ؛ ولكن ليست لهما نفس القيمة، إذ أن اللغة الإنجليزية تطلق (Mouton) على قطعة اللحم المقدمة للأكل ، وتطلق (Sheep) على الحيوان داخل الحقل.

والسبب في ذلك أن اللغة الإنجليزية تعبر عن (Mouton) و (Sheep) بمصطلحين مختلفين ، في حين يعبر عنهما في الفرنسية بمصطلح واحد .

ونخلص مما سبق إلى أن دي سوسير في التحليل الدلالي لا يسعى إلى إعادة الاعتبار إلى دلالة الوحدة اللسانية فحسب ، وإنما إلى قيمتها أيضاً؛ يعني العلاقات التي تحفظها مع الدلالات الأخرى على مستوى النظام اللغوي.

٥- الدلالة والسياق :

أشار اللغوي البريطاني (فيرث ١٨٩٠ - ١٩٦٠م) إلى أن دلالة الكلمة لا يمكن معرفتها إلا من خلال السياق بشقيه اللغوي والمقامي .

علاقة اللفظ بالمعنى

الاعتباطية والعرفية والاجتماعية :

تعددت آراء اللغويين حول العلاقة بين اللفظ ودلالاته ، فهناك من ذهب إلى أنها علاقة طبيعية ، وآخرون اعتبروها اعتباطية ، كما أن هناك مَنْ قال أنها وليد العُرف واتفاق الجماعة اللغوية . وذلك كما يلي:

أ - رأي اليونانيين :

حاول فلاسفة اليونان التصدي لهذا الموضوع، فقال (السفسطائيون) في القرن الخامس قبل الميلاد و(أفلاطون) في القرن الرابع قبل الميلاد بوجود صلة طبيعية بين اللفظ ومدلوله. وإن لم يستطيعوا إثبات هذه الصلة في بعض الألفاظ ، لجأوا إلى افتراض أن تلك الصلة الطبيعية كانت واضحة سهلة التفسير في بدء نشأتها، ثم تطورت الألفاظ، ولم يعد من اليسير أن نتبين بوضوح تلك الصلة أو نجد لها تعليلاً أو تفسيراً .

إلا أن الصلة الطبيعية لم تكن الرأي العام لفلاسفة اليونان، فهذا (ديمقريطس) من فلاسفة القرن الخامس قبل الميلاد يرفض هذا الرأي ، ويبرهن على أن العلاقة بين اللفظ ومدلوله مكتسبة ، وباتفاق الناس الذين يستعملونها.

وهذا (أرسطو) أيضاً يرفض فكرة أستاذه (أفلاطون) ويرى أن الصلة لا تعدو أن تكون اصطلاحية عرفية تواضع الناس عليها .

أما (سقراط) فيمسك العصا من وسطها ؛ فهو يرى أن بعض الألفاظ له صلة طبيعية بالمعنى ، وبعضها الآخر ليس له صلة طبيعية ، وإنما اصطلاح الناس على الألفاظ لتدل على المعاني التي يريدون، وترسخت هذه الألفاظ ومعانيها في الأذهان عن طريق التكرار.

ب - رأي علماء اللغة العرب الأقدمين :

مال أكثر اللغويين العرب الى القول بالصلة الطبيعية بين اللفظ ومدلوله، لما رأوا في اللغة العربية من ميزات قلما تجتمع في غيرها من اللغات. فدفعهم الاعتزاز الشديد بها إلى تلمس معاني للأصوات المجردة ، وتأويل معاني الأصوات إن عجزت قواعدهم عن تفسير معاني بعض الالفاظ .

وذلك بدءاً من القرن الثاني الهجري ؛ حيث نجد إشارات إلى الصلة بين اللفظ ومدلوله منسوبة إلى الخليل بن احمد ؛ حيث جاء في كتاب الخصائص من باب (إمساس الألفاظ أشباه المعاني) قول ابن جني : " اعلم أن هذا موضع شريف لطيف ، وقد نبه إليه الخليل وسيبويه، وتلقته الجماعة بالقبول له والاعتراف بصحته ، قال الخليل: كأنهم (العرب) توهّموا في صوت الجندب استطالة ومدّاً فقالوا صرّ، وتوهّموا في صوت البازي تقطيعاً فقالوا : صرصر » ، ويعني هذا أنه التفت إلى وجود صلة بين صوت الجندب والفعل الذي يدل عليه (صرّ)، وبسبب تشابه صوت البازي وصوت الجندب مع وجود اختلاف في الكيفية ، جاء الفعل الذي يصف صوت البازي مضعفاً : (صرصر) .

والأمر كذلك في القرنين الثالث والرابع الهجريين ؛ حيث ذهب لمثل ذلك عباد بن سليمان الصيمري من المعتزلة ، وكذلك ابن دريد في كتابه (الاشتقاق) .

ألا أن ابن جني ، وهو من علماء القرن الرابع الهجري ، ذلك اللغوي الفذ ، فقد قسّم العلاقة بين اللفظ ومدلوله إلى أربعة أصناف ، درس كل صنف في باب من كتابه الخصائص ، وهي باب : تلاقي المعاني على اختلاف الأصول والمباني ، وباب : الاشتقاق الأكبر ، وباب : تعاقب الألفاظ لتعاقب المعاني ، وباب : إمساس الألفاظ أشباه المعاني.

وفي باب تلاقي المعاني على اختلاف الأصول والمباني حاول ابن جني إيجاد علاقة مشتركة بين الصيغ الصرفية المختلفة التي تنتمي لشيء واحد ، مثل : ناقة وجمل وذبيح ، وبعبارة أخرى حاول إيجار علاقة بين الصيغ الصرفية التي تنتمي لمجال دلالي واحد .

وفي باب الاشتقاق الأكبر يشير ابن جني إلى أن أصوات المادة الواحدة [الجذر الواحد] ، مهما كان ترتيبها فهي ترد إلى معنى واحد ، وكأنه بهذا يربط بين الألفاظ وما يصاغ منها وبين معانيها، ولو احتاج الأمر إلى التأويل. يقول في مادة (ق س و): ومن ذلك تراكيب (ق س و) - (وق س) - (و س ق) - (س وق) ، وأهم (س ق و) ، وجميع ذلك إلى القوة والاجتماع منها (القسوة) وهي شدة القلب واجتماعه ، ومنها (القوس) لشدتها ، واجتماع طرفيها .

وفي باب تعاقب الألفاظ لتعاقب المعاني يوضح أن تقارب «الحروف أو الأصوات والألفاظ ناتج عن تقارب المعاني . فالهزّ والأزّ متقاربا المعنى، وهما أيضاً متقاربا اللفظ . أي أن كل كلمة اشتركت مع أخرى بحرفين ، وتقارب مخرج الحرف الثالث فيهما ، أدى ذلك إلى تشابه المعنى .

وفي باب إمساس الألفاظ أشباه المعاني ، يرى أن العرب كررت الأصوات أو المقاطع في نحو : (ززع) للدلالة على أن المعنى تكرر ، ويرى أن العرب جعلت الحركة المتوالية في المصادر والصفات ، في مثل : (البشكى) التي تعني : العدو السريع ، للدلالة على السرعة والحركة .

ج- رأي اللغويين الغربيين :

في القرن التاسع عشر ذهب اللغوي (همبلت - ١٨٣٥) إلى أن اللغات بوجه عام تؤثر التعبير عن الأشياء بوساطة ألفاظ أثرها في الآذان يشبه أثر تلك الأشياء في الأذهان ، بمعنى أنه كان من أنصار العلاقة الطبيعية بين اللفظ ومدلوله .

وقد عارض (مدفيج - ١٨٤٢) رأي (همبلت) ، وأورد أمثلة لا تتضح فيها هذه الصلة . أما (جسبرسن) Jespersen فوقف موقفاً وسطاً ؛ إذ قبل قول (همبلت)، وأضاف أن بعض الأصوات ليس له علاقة بالمعنى.

ونرى أنه حصر العلاقة الطبيعية بين اللفظ ومدلوله في إطار ضيق ، مما جعله أكثر ميلاً للقول بعدم وجود علاقة طبيعية بينهما . ويبدو أن معظم علماء اللغة المحدثين يميلون إلى رفض العلاقة بين اللفظ

ومدلوله، وجعلها علاقة اعتباطية. ومن أشهر هؤلاء (ويتني - ١٨٩٤م) الأمريكي ، و(دي سوسير السويسري - ١٩١٣م) ، و(سابير - ١٩٣٩م) الأمريكي ، وغيرهم .

د- رأي اللغويين العرب المحدثين :

في القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين كان الاتجاه الغالب لعلماء العربية القول بوجود صلة قوية بين اللفظ ومدلوله ، ومن أشهر هؤلاء الشدياق وجرجي زيدان والعلايلي . وتابعهم العقاد بعد منتصف هذا القرن في دلالة الألفاظ على معانيها . وأعجب د. صبحي الصالح والأستاذ محمد المبارك بهذا الرأي أيضا.

ولكن معظم الدارسين في العقدين الأخيرين ينكرون وجود علاقة طبيعية بين اللفظ ومعناه ، ويرون أن العلاقة اصطلاحية عرفية مكتسبة . ومن هؤلاء د. ابراهيم انيس؛ إذ يرى أن الصلة لم تولد بمولد اللفظة ، وإنما تكتسبها بكثرة التداول مع مرور الأيام. فقد يهتدي إلى العلاقة أو يوضحها شخص مثقف أو موهوب ، فيلفت النظر إلى وجود علاقة بين اللفظ ومدلوله ، فإذا صادف ذلك قبولا من الناس تبدأ عملية الربط ، ولا سيما أن ذهن الإنسان يميل في تعلمه إلى الربط بين اللفظ ومدلوله ، لتزداد قدرته على الاستيعاب. وبمعنى آخر فإنه يميل إلى القول بعدم وجود صلة بين اللفظ ومعناه إلا في قليل من الكلمات ، مثل : الألفاظ التي تعبر عن الأصوات الطبيعية نحو صوت الماء والرنين .

النظرية السياقية

مفهوم السياق :

إن نظام اللغة نظام متشابك العلاقات بين وحداته، ومفتوح دوماً على التجديد والتغيير في بنياته المعجمية والتركيبية، حتى غدا تحديد دلالة الكلمة يحتاج إلى تحديد مجموع السياقات التي ترد فيها، وهذا ما نادت به (النظرية السياقية) التي نفت عن الصيغة اللغوية دلالتها المعجمية، يقول مارتيني : " خارج السياق لا تتوفر الكلمة على المعنى ". إن منهج النظرية السياقية يُعد من المناهج الأكثر موضوعية ومقاربة للدلالة، ذلك أنه يقدم نموذجاً فعلياً لتحديد دلالة الصيغ اللغوية.

وقد تبني كثير من علماء اللغة هذا المنهج ، منهم العالم (وتغنشتين Wittgenstein) الذي صرح قائلاً : " لا تفتش عن معنى الكلمة ، وإنما عن الطريقة التي تستعمل فيها " ، إن هذه الطريقة التي تستعمل فيها كلمة هي التي تصنف دلالة هذه الكلمة ضمن الدلالة الرئيسية أو القيم التي تتحدد معها الصور الأسلوبية، لأن السياق يحمل حقائق إضافية تشارك الدلالة المعجمية للكلمة في تحديد الدلالة العامة التي قصدها المتكلم . يقول (ستيفن أولمن) : " السياق وحده هو الذي يوضح لنا ما إذا كانت الكلمة ينبغي أن تؤخذ على أنها تعبير موضوعي صرف أو أنها قصد بها أساساً؛ التعبير عن العواطف والانفعالات " .

ويعد (فيرث Firth) زعيم هذا الاتجاه؛ حيث أعطى أهمية كبرى للوظيفة الاجتماعية للغة، وأنه يؤمن بأن معنى الكلمة لا يتكشف إلا من خلال وضعها في سياقات مختلفة. كما أن معنى الكلمة عند أصحاب هذه النظرية هو استعمالها في اللغة، أو دورها الذي تؤديه في اللغة.

وإذا كان (فيرث) قد اشتهر بقضية السياق في الدرس الغربي الحديث، فإن علماء العرب القدامى كانوا على دراية تامة بأهمية السياق، بل كانوا سباقين إليه قبل (فيرث) بعدة قرون، نظراً لأهميته في الكشف عن المعنى. ومن هؤلاء العلماء القدامى الذين اهتموا به ابن القيم الجوزية (٦٩١هـ - ٧٥١هـ / ١٢٩٢م - ١٣٥٠م) في كتابه (بدائع الفوائد) ، وهو فقيه ومحدث ومفسر ، قد أعطى أهمية كبرى لعامل السياق في التعامل مع النصوص الشرعية ؛ حيث يقول : السياق يرشد إلى تبين المجل وتعيين المحتمل، والقطع بعدم احتمال غير المراد ، وتخصيص العام وتقييد المطلق، وتنوع الدلالة . وهذا من أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم، فمن أهمله غلط في نظره وغالط في مناظرته.

واهتم ابن القيم أيضاً بالقرائن من أجل إيضاح المعنى ؛ حيث يقول: إن اللفظ لا بد أن يقترب به ما يدل على المراد منه (القرائن) ، وهي ضربان : لفظية ومعنوية، واللفظية نوعان: متصلة ومنفصلة ، والمتصلة ضربان : مستقلة وغير مستقلة، والمعنوية إما عقلية وإما عرفية ، والعرفية إما عامة وإما خاصة، وتارة يكون عرف المتكلم وعادته، وتارة عرف المخاطب وعادته . أي أن القرينة العرفية عند ابن القيم هي القرينة الحالية أو المقامية التي تعود إلى سياق الحال، وأنه أدرجها ضمن القرائن المعنوية، وأن القرينة اللفظية هي ما تسمى بالقرائن المقالية.

أنواع السياق :

دلالة الكلمة في النظرية السياقية تتعدد بتعدد السياقات وتنوعها ، وقد توصل علماء اللغة المحدثون إلى التمييز بين أربعة أنواع من السياق ، وهي :

١ - السياق اللغوي :

يمكن التمثيل له بكلمة (رائع) التي تقع في سياقات لغوية متنوعة باعتبارها صفة لـ : (رجل - امرأة - وقت - يوم إلخ) .

فإذا وردت في سياق لغوي مع كلمة (رجل) ، كانت تعني الناحية الخُلقية ، وإذا وردت وصفاً لطبيب - مثلاً - كانت تعني التفوق في الأداء ، والأمر يختلف إذا وردت صفة لكلمة (يوم) أو (حفلة) .

٢ - السياق العاطفي:

يحدد دلالة الصيغة أو التركيب من معيار قوة أو ضعف الانفعال، فبالرغم من اشتراك وحدتين لغويتين في أصل المعنى إلا أن دلالتها تختلف ، مثل ذلك الفرق بين دلالة الكلمتين: (اغتيال) و(قتل)، بالإضافة إلى القيم الاجتماعية التي تحددها الكلمتان ، فهناك إشارة إلى درجة العاطفة والانفعال الذي تصاحب الفعل، فإذا كان الأول يدل على أن المقتال ذو مكانة اجتماعية عالية، وأن الاغتيال كان لدوافع سياسية، فإن الفعل الثاني يحمل دلالات مختلفة عن الأول ، وهي دلالات تشير إلى أن القتل قد يكون بوحشية ، وأن آلة القتل قد تختلف عن آلة الاغتيال .

٣- سياق الموقف أو المقام :

يعني الموقف الخارجي الذي يمكن أن تقع فيه الكلمة . مثل استعمال كلمة (يرحم) في مقام تشميت العاطس: «يرحمك الله» (البدء بالفعل)، وفي مقام الترحم بعد الموت " الله يرحمه " ، (البدء بالاسم). فالأولى تعني «الله طلب الرحمة في الدنيا " ، والثانية : " طلب الرحمة في الآخرة " . وقد دل على هذا سياق الموقف الى جانب السياق اللغوي المتمثل في التقديم والتأخير .

٤- السياق الثقافي :

يقتضي تحديد المحيط الثقافي أو الاجتماعي الذي يمكن أن تستخدم فيه الكلمة . فكلمة (عقيلته) تعد في العربية المعاصرة علامة على الطبقة الاجتماعية المتميزة بالنسبة لكلمة (زوجته) مثلاً . وكلمة (جذر) لها معنى عند المزارع ، ومعنى ثان عند اللغوي ، ومعنى ثالث عند عالم الرياضيات .

أنواع الدلالة

(الصوتية والصرفية والمعجمية والتركيبية والسياقية)

قُسِّمَت الدلالة في علم اللغة إلى أنواع مختلفة علي حسب المدخلات التي تُشكِّل معني الكلام، حيث يجد المتكلم أبعاداً دلالية مختلفة في التركيب الواحد، وقسم العلماء الدلالة إلى: دلالة صوتية ، ودلالة صرفية ، ودلالة معجمية ، ودلالة نحوية (تركيبية) ، ودلالة اجتماعية (سياقية) ، وذلك كما يلي :

١- الدلالة الصوتية :

هي تلك الدلالة التي تُستمد من القيمة التعبيرية للحرف المفرد ، وقد أورد لها (ابن جني) عدة أمثلة ، منها : الفرق بين (قضم - خضم)، فالقضم: لأكل الشيء اليابس، والخضم : لأكل الرطب، حيث اختار العرب الخاء لرخاوتها في كلمة (خضم) للدلالة علي أكل الشيء الرطب، واختاروا القاف لصلابتها في كلمة (قضم) للدلالة علي أكل الشيء اليابس "فأخذوا مسموع الأصوات على محسوس الأحداث " .

وقد يؤدي اختلاف التشكل الداخلي للكلمة إلى اختلاف دلالة الكلمة ، في مثل : (وِرْد) [وقت يخصمه المرء للقراءة أو الذكر] ، و (وِرْد) [أزهار عطرية] .

كما يساهم النبر والتنغيم في بيان دلالة التركيب ، مثل عبارة : (أهلاً وسهلاً) ، فقد يعني الترحيب بالقادم أو التوبيخ عن التأخر في الموعد، أو الجزع عند سماع خبر، فالتنغيم هو الذي يكشف لنا عن المعنى المقصود .

٢- الدلالة الصرفية :

هي الدلالة التي تُستمد من بنية اللفظ وصيغته، وقد أشار إليها (ابن جني) عند حديثه عن تشديد عين الكلمة، حيث تُفيد حينئذٍ قوة المعني وتكراره، مثل: (قَطَعَ). وقد أشار إلى تلك الدلالة الدكتور (إبراهيم أنيس) في مثاله : " لا تصدقه فهو كذاب " ، فإن (كذاب) أقوى في الدلالة من (كاذب) وذلك بتشديد عين الكلمة .

٣- الدلالة المعجمية :

تُستمد هذه الدلالة من أصل استخدام اللفظ، وتعتبر مركزاً لدلالات الكلمة، وينبغي أن تراعي في جميع مشتقاتها واستخداماتها، كما أنها الدلالة المقصودة من اللفظ عند إطلاقه، ولو كان له أكثر من دلالة على المستوي المعجمي فإن السياق هو الذي يُحدِّد أي الدلالات مرادة من الكلمة.

وقد أطلق عليها في علم اللغة الحديث المعنى الأساسي أو الأولي أو المركزي. وهذه الدلالة هي التي تُرَجِّح وتُرَشِّح أي الألفاظ يكون مناسباً لهذا السياق أو ذاك، على مستوى محور الانتقاء، وذلك باشتغال اللفظ المستخدم على بعض السمات والملاح الدلالية التي تجعله أنسب الألفاظ لذلك السياق، ومن ثم يتبوأ مقعده من التركيب.

٤- الدلالة النحوية (التركيبية) :

هي الدلالة المُستمدة من ارتباط الكلام ببعضه ببعض بواسطة قواعد التركيب (النحو) ؛ فبدونه لا يُمكن للكلام أن ينجح في توصيل أية رسالة من المتكلم إلى المتلقي . وقد أكد علماؤنا على أهمية هذه الدلالة؛ حيث يجعلونها في مكان متقدم من الاهتمامات اللغوية، فهذا (ابن جني) يُطلق على الإعراب أنه " الإبانة عن المعاني بالألفاظ "، ويزيد ذلك وضوحًا من خلال التمثيل بقوله: " ألا ترى أنك إذا سمعت : أكرم سعيدًا أباه، وشكر سعيدًا أبوه، علمت برفع أحدهما ونصب الآخر الفاعل من المفعول، ولو كان الكلام ضربًا واحدًا لاستبهم أحدهما من صاحبه " . وعلى حد قول د. إبراهيم أنيس : " معنى الجمل ليس فقط مجموع أجزائها " [معاني كلماتها] ، وتعبير آخر : من المستحيل فهم جملة دون معرفة العلاقات التركيبية التي تربط بين كل كلمة وأخرى .

ومن أمثلة الدلالات التركيبية (دلالة الفاعلية) بين الفعل وفاعله ، و(دلالة المفعولية) بين الفاعل والمفعول، و(الدلالة التوكيدية) المستمدة من حرف التوكيد (إنَّ)، و(الدلالة الحالية أو الكيفية) المستمدة من العلاقة بين الفعل والحال .

٥- الدلالة الاجتماعية (السياقية) :

هي الدلالة المُستمدة من المقام أو الأحوال المحيطة به في المسرح اللغوي ، مثل : التعجب ، أو الدهشة ، أو الاستنكار ، أو الخوف . ويشير مصطلح (المسرح اللغوي) إلى الأحوال والملابس التي تُحيط بالحدث اللغوي ، وينبغي أن توضع في الاعتبار عند التحليل . وقد أكد علي هذه الدلالة كثير من اللغويين قديمًا وحديثًا ؛ فهذا (ابن جني) يعلق على قول الشاعر :

تقول وصكت وجهها أبغلي هذا بالرحى

" لكنه لما حكى الحال فقال : (وصكت وجهها) عُلِمَ بذلك قوة إنكارها، وتعاضم الصورة لها، هذا مع أنك سامع لحكاية الحال، غير مشاهد لها، ولو شاهدتها لكنت بها أعرف " . ولذلك قال الدكتور (تمام حسان) : " إن البلاغيين العرب كانوا متقدمين ألف سنة تقريبًا عن زمانهم؛ لأنهم اعترفوا بفكرتي المقام والمقال، وذلك باعتبارهما أساسين متميزين من أسس تحليل المعنى ، وهذا يعتبر الآن في الغرب من الكشوف التي جاءت نتيجة مغامرات العقل المعاصر في دراسة اللغة " .

الوحدات الدلالية

يتفق علماء الدلالة على أنّ الوحدة الدلالية هي المكوّن الأساسي للكلام، وبعبارة أخرى هي الجزء من الكلام الذي يمكن اقتطاعه عن غيره ، ويظل يؤدي معنى.

ومن شروط الوحدة الدلالية تأديتها للمعنى ، غير أن المعنى هنا يبدو غامضاً ؛ هل هو المعنى المعجمي؟ أو المعنى الصوتي، أو المعنى الأسلوبي؟ و مادام يمكن اقتطاع هذا المكون عن غيره ، فهل هو فونيم (صوت) ؟ أو هو مورفيم (سابقة أو لاحقة صرفية مثل ياء المضارعة وتاء التأنيث) ؟ أو جملة تامة المعنى؟

ومصطلح (الوحدة الدلالية) يُراد به (semantic unit) ، ومن اللغويين من يطلق عليها مصطلح (السيمم) (sememe).

ومن التعريفات المقدمة للوحدة الدلالية نذكر الآتي:

١ - «الوحدة الصغرى للمعنى».

٢ - " تجمع من الملامح التمييزية».

٣ - " أي امتداد من الكلام يعكس تبايناً دلاليًا » .

٤ - «الوحدة الدلالية هي النص».

والوحدة الدلالية من منظور (نيدا - Nida) تتركز في تعريفها على أساس شكلي، فهي قد تكون فونيمًا ، أو مورفيمًا ، أو كلمة مفردة، أو جملة، أو نصًا. ويمكن توضيح ذلك بحسب الآتي:

أ - الوحدة الدلالية = الفونيم :

تمثل العناصر الصوتية البنية الأساسية لتكوين الكلمة، فهي على اختلافها وتنوعها تعمل على تغيير معنى الكلمة عند تغيير صفة الصوت ؛ فكلمتان من قبيل (تاب) و (طاب) تختلفان في الدلالة ؛ لانتقالنا صفة الترقيق في (التاء) إلى صفة التفخيم في (الطاء) . كما تُعد الحركات في اللغة العربية فونيمات أيضًا ، مثل دلالة الضمة على المتكلم ، والفتحة على المخاطب ، والكسرة على المخاطبة في مثل : كتبتُ - كتبتَ - كتبتِ .

ب- الوحدة الدلالية = المورفيم :

أقر (نيدا) في تقسيمه للوحدة الدلالية على أنها قد تكون أصغر من كلمة؛ أي أن تكون مورفيمًا ، والمورفيمات هي موضوع علم الصرف الذي يقف عند معانيها ، وهي أصغر وحدة دالة في بيئة اللسان، التي لا يمكن تجزئتها دون فقدان للمعنى.

ولقد عرفت هذه الوحدة الصرفية عند المحدثين على اعتبار أنها " صيغة أو عنصر لغوي يدلّ على المعاني أو المقولات الصرفية والنحوية " ؛ فالوظيفتان النحوية والصرفية هما محور المعنى المنوط بهذه الوحدات ، فهي عناصر لغوية غير معجمية، لا معنى لها خارج حدود هاتين الوظيفتين الرئيسيتين.

والتعريف السابق لا ينفي إمكانية كون المورفيم عبارة عن فونيم واحد كما هو شأن (تاء التأنيث) في اللغة العربية ، ومثل السوابق واللاحق والدواخل التي تتصل بالأصل اللغوي ، لتقديم دلالة صرفية إضافية مثل: (أكتب)، (تكتب) (تكتب)، فالسوابق (أ- ت - ن) المتصلة بالفعل (كتب) تحدد لنا زمن الفعل وهو الاستقبال، كما تحدد جنس وعدد الضمير المتحدث؛ فالألف دالة على المفرد المذكر، والتاء على المفرد المخاطب المؤنث، والنون للدلالة على المتكلم الجمع مذكراً كان أو مؤنثاً، ومثل ذلك السين الدالة على الاستقبال في مثل : (سيكتب).

وهناك نوعان من المورفيمات ، مورفيم حرّ وهو الذي يمكن استعماله بمفرده إذ يحمل معنى بذاته مثل كلمة (رجل - كتاب)، ومورفيم مقيد أو متصل، وهو الذي لا يُستعمل منفرداً ، بل متصلاً بمورفيم آخر، مثل علامة التنثية في كلمة (رجلان) المكونة من مورفيم حرّ هو (رجل) ومورفيم متصل هو (ان) علامة التنثية. وهناك مورفيمات حرة تحول الكلمة من المفرد إلى الجمع ، مثل (رجل - رجال) ، أو من الماضي إلى المضارع ، مثل (ذهب - يذهب) .

ج - الوحدة الدلالية = التركيب :

يشير نيدا إلى أن الوحدة الدلالية قد تكون أكبر من الكلمة ، وفي هذه الحالة تسمى [تركيباً] ، ويدخل تحت هذا النوع الأنواع الثلاثة الآتية:

• التعبير الاصطلاحي Idiom :

وهو تعبير متداول يحمل معنى واحداً متفقاً عليه بين المتكلمين ، يتميز بالثبوت وعدم التغير ، مثل : «ضَرَبَ كَفًّا بِكَفٍ» بمعنى : تحيرٌ ، ومثل : " أطلق ساقيه للريح " ، بمعنى : أسرع ، أو هرب مسرعاً .

• التركيب الموحد Unitary Complex :

التركيب الموحد يقوم بدور وظيفي في مستوى التركيب بالضبط كالكلمات المفردة ، أي أنه يدل على تصور مفرد لا يقبل التقسيم ، ولقد عرفه Nida بأنه ما يتكون من اثنين أو أكثر من الصيغ الحرة، أو ما يتكوّن من مجموعة كلمات يتصرف تجمعها ككل بطريقة مختلفة عن الطبقة الدلالية للكلمة الرئيسية ، مثل كلمة (بيت) في التركيب الموحد (البيت الأبيض - white house)، الذي لا يشير إلى مبنى ، ولكن إلى مؤسسة سياسية، لأننا إذا صنفناه وفق الحقول الدلالية فلا يمكن وضعه مع الكلمات التي تدل على الإقامة مثل: بيت، عمارة، فيلا، كوخ ، قصر .. ومثل ذلك: (Pine Apple) التي تعني فاكهة (الأناناس) ، وهي ليست نوعاً من (التفاح) ، لأنها كلمة واحدة لا يمكن فصل عناصرها عند تحليلها صرفياً وتوزيعياً .

• المركب composite :

التعبيرات المركبة تتكون من كلمتين ، لكنها تختلف عن التركيبات الموحدة في أن الكلمة الرئيسية فيها ما تزال تنتمي إلى نفس مجالها الدلالي مثل (Field work) بمعنى (العمل الميداني) ، فكلمة (Field) ما زالت

تحتفظ بمعنى كلمة (مجال) ، والتعبير المركب (Field work) يعني : مجال العمل العملي الذي يقوم به الباحث في البيئة الطبيعية ، وليس في المختبر أو المكتب.

ومثل house-boat بمعنى (القارب) ، فكلمة (house) ما زالت تحتفظ بمعنى كلمة (بيت) ، والتعبير المركب (house-boat) يعني : القارب الذي يرسو أو يمكن أن يرسو لاستخدامه كمسكن.

د- الوحدة الدلالية = الجملة :

الجملة يعتبرها بعض اللغويين من أهم وحدات المعنى ، بل يعتبرها بعضهم أهم من الكلمة نفسها . وعند هؤلاء لا يوجد معنى منفصل للكلمة ، وإنما معناها في الجملة التي ترد فيها . فإذا قلت إن كلمة أو عبارة تحمل معنى ، فهذا يعني أن هناك جملة تقع فيها الكلمة أو العبارة ، وهذه الجملة تحمل معنى ، لذا عدها بعض اللغويين أصغر وحدات المعنى ومن أهمها ؛ لأنه معها يكتمل المعنى بعد أن كان مجزئاً ضمن معاني الكلمات بمفردها، وهذا دفع بعض الدارسين إلى عدها الوحدة الدلالية الأهم في النص، بها يكتمل المعنى ويتضح .

وسوف نسوق جملتين نوضح من خلالهما أثر توافق معاني كلمات الجملة الواحدة حتى تُعتبر وحدة دلالية ، الجملة الأولى : " الطلاب النجباء يعملون بجد » ، نجد هذه الجملة تركيباً مكوناً من عدة كلمات، والمعنى العام للجملة لا يمكن فهمه إذا فصلنا كل كلمة على حدة، ويعود ذلك إلى التوافق الذي تحصل بين معاني الكلمات التي وردت في الجملة تبعاً لنظام يحكمها في هذه اللغة.

وأما الجملة الثانية ، فهي الجملة المشهورة للغوي الأمريكي تشومسكي : " الأحلام الخضراء عديمة اللون تنام بعنف » ، فرغم صحتها الشكلية ، فهي تفتقد إلى المعنى ، وتتميز بالغموض ، ومرد ذلك إلى عدم توافق المعاني الواردة في الجملة، فكلمة (أحلام) مثلاً لا تتوافق مع كلمة خضراء ؛ لأن من الملامح المميزة لكلمة "أخضر" [+محسوس]، في حين من الملامح المميزة لكلمة "الأحلام" [- محسوس]، وعليه فإن المعنى العام للجملة افتقد إلى التوازن ، ومنه أصبحت الجملة غامضة دون معنى.

المساحة الدلالية والفروق الدلالية

لقد اهتم العرب القدامى بظاهرة الفروق الدلالية بين الألفاظ محاولين في ذلك الوقوف على المساحات الدلالية بين الألفاظ التي لاحظوا فيها شيئاً من التقارب والتداخل فيما بينها. ومن بين هؤلاء العلماء نجد أبا هلال العسكري الذي قدم لنا جهداً دلاليّاً خاصاً في كتابه (الفروق اللغوية)، محاولاً الإجابة عن ذلك التقارب والتداخل بين الألفاظ ، ومبرزاً في الوقت نفسه الخصوصية الدلالية للفظ الواحد، وتميزها عن اللفظة الأخرى. وهذا العمل في الفروق لم يكن له صلة بمجال دراسة الترادف، وإنما تعدى ذلك ليشمل معالجة التداخل والتقارب بين الألفاظ؛ حيث انصرف الاهتمام في الفروق إلى التحليل وشرح المعاني وبسط المساحات الدلالية التي يحددها الرمز الخاص بها، وما هي الحدود الفاصلة بينها وبين جارتها.

يقول أبو هلال في مقدمة كتابه : " إني ما رأيت نوعاً من العلوم وفناً من الآداب إلا وقد صنّف فيه كتبٌ تجمع أطرافه ، وتنظم أصنافه إلا الكلام في الفرق بين معانٍ تقاربت حتى أشكل الفرق بينها نحو (العلم والمعرفة) ، و(الفطنة والذكاء) ، و(الإرادة والمشينة) ، و(الغضب والسخط) ، وما شاكل ذلك ، فإني ما رأيت في الفرق بين هذه المعاني وأشباهاها كتاباً يكفي الطالب ويقنع الراغب ، مع كثرة منافعه فيما يؤدي إلى المعرفة بوجوه الكلام، والوقوف على حقائق معانيه ، والوصول إلى الغرض فيه " .

ومن الأمثلة التي ساقها أبو هلال لالتماس الفروق الدلالية بين الكلمات المتقاربة المعنى قوله : " الفرق بين (النجوى والستر) : أن النجوى اسم للكلام الخفي الذي تناجي به صاحبك كأنك ترفعه [تخفيه] عن غيره ، وذلك أن أصل الكلمة : الرفعة ، ومنه النجوة من الأرض ، وسمي تكليم الله تعالى موسى عليه السلام مناجاة : لأنه كان كلاماً أخفاه عن غيره . والسر : إخفاء الشيء في النفس ، ولو اختفى بستر أو وراء جدار لم يكن سراً . ويقال في هذا الكلام سر : تشبيهاً بما يخفى في النفس ، ويقال سري عند فلان : تريد ما يخفيه في نفسه من ذلك ، ولا يقال نجواي عنده . والنجوى تتناول جملة ما يتناجى به من الكلام ، والسر يتناول معنى ذلك ، وقد يكون السر في غير المعاني مجازاً ، تقول : فعل هذا سراً . وقد أسر الأمر ، والنجوى لا تكون إلا كلاماً " .

نظرية الحقول الدلالية

الحقول الدلالية عبارة عن مجموعة من الكلمات تتربط دلالاتها وتوضع عادة تحت لفظ عام يجمعها ، والذي لفت انتباه اللغويين إلى ذلك هو وجود علاقات ترابطية دلالية بين المداخل المعجمية بإمكانها أن تصنف النظام اللساني إلى مجموعة من الأنساق يختلف بعضها عن بعض ، وأكثر هذه العلاقات شيوعاً هي : الترادف ، والاشتغال أو التضمن ، وعلاقة الجزء بالكل ، والتناظر ، والتضاد . وهناك علاقات أخرى ، مثل : التقابل ، والتدرج أو التعاقب .

وبواسطة تلك العلاقات يتم تمييز معنى كلمة عن أخرى داخل الحقل الواحد ، ومنه تكمن أهمية الحقول الدلالية في الكشف عن أوجه الشبه والاختلاف بين تلك الكلمات المدرجة ضمن الحقل الدلالي الواحد ، حيث تقول هذه النظرية إنه لكي تفهم معنى كلمة يجب أن تفهم كذلك الكلمات المتصلة بها دلاليًا ، أو كما يقول اللغوي الإنجليزي (ليونز - Lyons) : يجب دراسة العلاقات بين المفردات داخل الحقل أو الموضوع الفرعي . ولهذا يعرف Lyons معنى الكلمة بأنه « محصلة علاقاتها بالكلمات الأخرى في داخل الحقل المعجمي » . وهدف التحليل للحقول الدلالية هو جمع كل الكلمات التي تخص حقلاً معيناً ، والكشف عن صلاتها الواحد منها بالآخر ، وصلاتها بالمصطلح العام .

وتكاد تُجمع آراء المختصين على أن الألماني جوست تريبي Jost Trier يرجع إليه الفضل في بلورة وتجميع أفكار هذه النظرية ، وأن الحقل الدلالي كما يرى جورج مونان هو مجموعة من المفاهيم تُبنى على علاقات لسانية مشتركة، يمكنها أن تكون بنية من بُنى النظام اللساني ، مثل : حقل الحيوان ، وحقل الألوان ، وحقل الأطعمة والأشربة ، والولادة والحمل إلى غير ذلك من الحقول .

وإذا كان الغربيون قد نظّروا إلى هذه النظرية بمبادئ وأهداف، فإنه لا ينبغي لنا أن ننسى أن العرب القدامى كانوا سبقوا لهذا الطرح، بداية من التأليف في الرسائل المعجمية التي تضم موضوعاً أو تخصصاً واحداً؛ كالنبات والشجر، وخلق الإنسان للأصمعي، والخيل لأبي عبيدة بن معمر بن المثنى إلى ما يسمى بمعاجم الموضوعات ذات الموضوعات المتعددة؛ ككتاب فقه اللغة للثعالبي، والمخصص لابن سيده .

وابن القيم الجوزية له باع في تصنيف الكلمات في حقول دلالية ، ومن ذلك حقل ألفاظ " أطعمة الدعوات " ، فقد جمعها ضمن حقل دلالي رئيسي واحد باعتبار الانتماء، وإن كانت دلالاتها تختلف بحسب الاستعمال ، وهي كالآتي:

- القرى : طعام الضيفان .
- المأدبة : طعام الدعوة.
- التحفة : طعام الزائر .
- الوليمة: طعام العرس.
- الخُرس : طعام الولادة.

▪ العقيقة : الذبح عنه يوم خلق رأسه في السابع.

▪ الغديرة: طعام الختان.

▪ الوضيمة: طعام المأتم.

▪ النقيعة : طعام القادم من سفره.

▪ الوكيرة : طعام الفراغ من البناء.

أمثلة على الحقول الدلالية :

كما ذكرنا آنفاً أن كل مجموعة من الكلمات يمكن أن تندرج تحت عنوان أو صنف ، فإنها تُشكّل في الواقع حقلاً دلالياً ، غير أن الأمر قد ينطوي على اختلاف في وجهات النظر . هل الحيوانات كلها حقل واحد أم من الممكن تقسيمها إلى عدة حقول : ثدييات ، طيور ، أسماك، زواحف ، حشرات؟ حتى الحشرات : هل كلها حقل واحد أم نقسمها إلى عدة حقول فرعية : حشرات ضارة ، حشرات نافعة ، حشرات طائرة ، حشرات غير طائرة ؟ قد يكون مناسباً أن نتحدث عن حقول دلالية رئيسة وحقول دلالية فرعية .

ومن الحقول التي يمكن تصنيف الكلمات إليها ما يلي : الأقارب ، الثدييات ، الطيور ، الأسماك ، الزواحف ، الحشرات ، الأزهار ، الأعشاب ، الأشجار المثمرة ، الأشجار الحرجية ، الأدوية ، الأمراض ، أدوات المطبخ ، الأثاث، وسائل النقل ، أعضاء الجسم ، أدوات الحرب ، الوظائف المدنية ، الرتب العسكرية ، الألوان ، المطبوعات ، القرطاسية (الأدوات المكتبية) ، الرياضة ، المعاملات المصرفية ، الإدارة ، التجارة ، الحرف المختلفة ، والمهن المختلفة ، والأوزان الاشتقاقية ، وأطلق عليها الحقول الدلالية الصرفية ، مثل حقل : علم ، أعلم ، استعلم ، علّم ، تعلّم ، يعلم ، يُعلم ، يستعلم ، يعلم ، يتعلم ، اعلم ، أعلم ، استعلم ، علّم ، تعلّم ، عالم ، عالمة ، علماء ، عالمان ، علم ، معلم ، إعلام ، ... إلخ

ولا شك أن قائمة الحقول الدلالية طويلة جداً ، وكثير من هذه الحقول الرئيسية يمكن تقسيمها إلى حقول دلالية فرعية ، وهذا ما صنعه اللغويون الغربيون عندما صنفوا (معاجم الحقول الدلالية) تضم كافة الحقول الموجودة في اللغة . ولعل أشمل التصنيفات التي قدمت حتى الآن وأكثرها منطقية التصنيف الذي اقترحه معجم Greek New Testament ، ويقوم على الأقسام الأربعة الرئيسية : الموجودات - الأحداث - المجردات - العلاقات .

توزيع الكلمات على الحقول الدلالية :

إذا أردنا التعامل مع الحقول الدلالية وتوزيع الكلمات عليها ، فلا بد من اتباع الخطوات الآتية :

١ . يجب أن نحدد الحقول الدلالية الرئيسية كخطوة أولى .

٢ . بعد ذلك ، يمكن تفريع الحقول الدلالية الرئيسية إلى حقول دلالية فرعية . مثل : الإنسان ذكر أو أنثى ، ثمّ كل منهما بالغ أو غير بالغ . مثال آخر : الأقارب تتفرع إلى فروع من جهة الأب وفروع من جهة الأم ، ثمّ كل

منهما يتفرع إلى ذكر وأنثى . مثال ثالث : الأمراض يمكن تفريعها إلى أمراض الجهاز الهضمي ، وأمراض الجهاز التنفسي ، وأمراض الجهاز العصبي ، وأمراض الجهاز الدموي ... وهكذا ..

٣. الآن ، يصبح لدينا عدد محدود ومحصور من الحقول الدلالية الفرعية .

٤. بعد ذلك ، تبدأ في توزيع الكلمات على الحقول الفرعية (وليس على الحقول الرئيسية) .

٥. كل كلمة معجمية لا بد من توزيعها على حقل فرعي . وإذا تبين أن كلمة ما لا يناسبها أي حقل ، فهذا يدل على قصور في عدد الحقول وأنواعها ، الأمر الذي يستدعي إعادة النظر في تفريع الحقول .

٦. من المهم ملاحظة أنه : لا وحدة معجمية Lexeme عضو في أكثر من حقل - لا وحدة معجمية لا تنتمي إلى حقل معين - لا يصح إغفال السياق الذي ترد فيه الكلمة - استحالة دراسة المفردات مستقلة عن تركيبها النحوي .

أمثلة للعلاقات الدلالية التي تربط بين كلمات الحقل الواحد :

١- علاقة الترادف :

تقع الكلمات المترادفة في حقل واحد ، مثل استوعب ، فهم ، أدرك ، عَرَفَ .

٢- علاقة الاشتمال أو التضمن :

الاشتمال يختلف عن الترادف في أنه تضمن من طرف واحد . يكون (أ) مشتملاً على (ب) حين يكون (ب) أعلى في التقسيم التصنيفي أو التفريعي ، مثل (فرس) الذي ينتمي إلى فصيلة أعلى (حيوان) . وعلى هذا فمعنى (فرس) يتضمن معنى (حيوان) .

٣- علاقة الجزء بالكل :

مثل علاقة اليد بالجسم ، والعجلة بالسيارة . والفرق بين هذه العلاقة وعلاقة الاشتمال أو التضمن واضح . فاليد ليست نوعاً من الجسم ، ولكنها جزء منه . بخلاف الفرس الذي هو نوع من الحيوان وليس جزءاً منه .

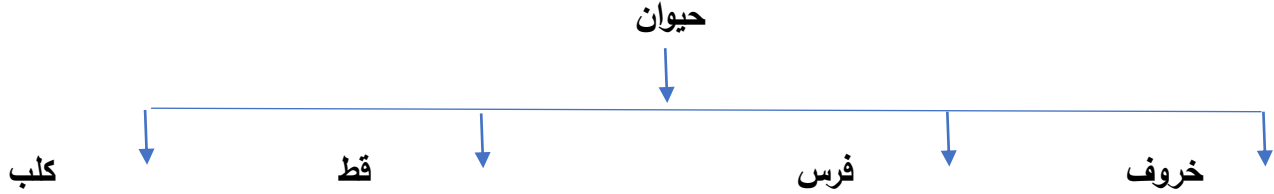
٤- علاقة التضاد :

هناك أنواع متعددة من التقابل تأتي تحت ما سماه اللغويون بالتضاد ، وتقع في حقل واحد، مثل حار / بارد ، شجاع / جبان ، كريم / بخيل ، عالم / جاهل ، قوي / ضعيف.

وللعلاقة التضاد لها عدة صور منها : (تضاد حاد أو متدرج أو عكسي أو عمودي أو امتدادي أو دائري أو رتبي أو انتسابي أو جزئي) . مثال ذلك : (ذكر / أنثى) تضاد حاد ، (موز / برتقال / تفاح) تضاد انتسابي ، (باب / غرفة) تضاد جزئي ، (كريم / بخيل) تضاد متدرج ، (باع / اشترى) تضاد عكسي ، (شمال شرق) تضاد عمودي ، (شمال / جنوب) تضاد امتدادي ، (السبت / الأحد) تضاد دائري ، (عقيد / عميد) تضاد رتبي.

هـ- علاقة التنافر :

علاقة مرتبطة بفكرة النفي ، وتحقق تلك العلاقة داخل الحقل الدلالي إذا كان (أ) لا يشتمل على (ب) ، و (ب) لا تشتمل على (أ) ، رغم وقوعهما في حقل دلالي واحد . وبعبارة أخرى : هو عدم التضمنين من طرفين ، وذلك مثل العلاقة بين (خروف ، وفرس ، وقط ، وكلب) ؛ فرغم كونها تقع تحت حقل دلالي واحد (حيوان) إلا أن بين كل واحد منهم والآخر علاقة تنافر .



ومثل العلاقة بين الألوان (ماعد الأسود والأبيض ؛ فبينهما علاقة تضاد) ، كالعلاقة بين الأزرق والأصفر . ويدخل تحت التنافر ما يسمى بعلاقة الرتبة (rank) مثل : ملازم - رائد - مقدم - عقيد - عميد - لواء فهذه الألفاظ متنافرة ؛ لأن القول : محمد رائد يعني أنه ليس مقدماً ولا ..

كما يدخل فيه ما يسمى بالمجموعات الدورية cyclical sets ، مثل الشهور والفصول وأيام الأسبوع . فكل عضو في المجموعة موضوع بين اثنين قبله وبعده ، وليس هناك درجات أو رتب ، كما أنه ليس هناك بداية ونهاية . فيوم السبت قبله الجمعة ، وبعده الأحد . ويوم الجمعة قبله الخميس ، وبعده السبت ، وهكذا . . "

* علاقة اقتران :

الكلمات التي تظهر علاقات اقتران أفقي هي في الغالب تنتمي إلى حقل واحد ، مثل العبارات المكونة من مضاف ومضاف إليه ، ويجمع بينها شيء ما ، مثل (مجال الصوت) ، ومنه : خريز الماء ، زئير الأسد ، صهيل الخيول .

التطور الدلالي

مفهوم التطور اللغوي :

كل ما يَجْدُ على أصوات اللغة وصرفها وتركيبها ودلالاتها من تغير أيًا كان مصدره، أو مستواه، أو زمنه .

والتطور بهذا المعنى يحدث:

أ) إما ذاتياً؛ نتيجة الاستعمال اليومي للغة في مناحي الحياة كافة، وهو تطور يصاحبه عادة تشويه للغة، وكسر للأعراف القارة فيها، ولا سيما على المستويين: الصرفي والتركيب.

ب) إما بجهود واعية، قد تكون جماعية كجهود المجامع اللغوية، وربما كانت فردية مصادرها ذوو الموهبة في صناعة الكلام، الذين يعملون في مشاريع خاصة من أجل إنماء اللغة.

ويقع مفهوم التطور اللغوي في منطقة وسطى بين التطور الذاتي للغة والتطوير الواعي لها؛ إذ هو تطور ذاتي، لكنه مخصوص، من حيث إنه يقتصر على جهود بعض فئات المجتمع التي طوّرت اللغة تزامناً مع القيام بوظائفها الاجتماعية والثقافية، أو أداء واجبها المهني، مثل فئتي الشعراء والإعلاميين.

فلا يشمل مفهوم التطور ما تتعرض له اللغة، يومياً، من اهتزاز عنيف يتصدع له بنيانها نتيجة الاستعمال اليومي من العامة.

حتمية التطور اللغوي:

التطور، بمعناه العام، حتميٌّ ، لا مناص منه. ولا يكاد يحتاج إلى دليل، ولا سيما منه ما يتعلق بالدلالة، فلا ينكره إلا القابعون في كهوفهم بعيداً عن مساهرة الحياة. وكيف يُنكر وقوانينه تكاد ترقى إلى مكانة القوانين الطبيعية ثباتاً وقوة ، إلى حد أن اللغة مهما وُضِعَ لتطورها من قيود، ومهما بُذِلَ من جهد في محاربة ما يطرأ عليها من لحن وخطأ وتحريف، فإنها لا تلبث أن تحطم هذه الأغلال، وتفلت من هذه القيود خضوعاً منها لناموس التطور.

التطور وقانون التوازن اللغوي:

قانون التوازن اللغوي ليس قانوناً بالمعنى "الحقوقي"، ولكنه مصطلح لساني يحيل إلى وضع تكون فيه اللغة مشدودةً بين عاملي "التطور" و"المحافظة". هذا الوضع يقضي بوجود "تعادل" بين ما "يطرأ" على اللغة من تبدل وتحول نتيجة الاستعمال، ونسميه (تطوراً) ، وبين ما تمثله مقاومة اللغة، والمتحدثين بها، لهذا التطور؛ وقايةً لجوهرها وأصلها من الاتدثار والتلاشي، ونسميه (محافظة) ؛ ذلك بأن هذا التوازن يستجيب، من جهة لدواعي حركة الزمن، وإكراهات الواقع التي تفرض الاحتكاك والاختلاط ببيئات وأجناس بشرية مختلفة، ويضمن، من جهة أخرى، عدم زوال اللغة أو تشوهها ، وبقدر احتفاظها بهذا التوازن يكتب لها طول العمر.

أسباب التطور اللغوي :

تتعدد الأسباب التي تؤدي إلى حدوث التطور الدلالي للألفاظ. وقد حدد (أندريس بلانك - Blank Andreas) أربعة أسباب للتطور الدلالي ، هي أسباب لغوية وحضارية ونفسية واجتماعية . وتندرج تحت هذه الأسباب العامة أسباب فرعية ، إضافة إلى هذه الأسباب الأربعة. وفيما يلي تفصيل أسباب التطور الدلالي، وسنكتفي بطرح أمثلة معبرة على كل سبب من هذه الأسباب، لكن هذه الأمثلة لا تغطي كافة أنماط التطور الدلالي.

أولاً - أسباب لغوية :

١ - الاستعمال اللغوي العام :

ففي بعض الأحيان يستعمل الناس لفظاً عاماً للتعبير عن أحد مدلولاته فقط ، فتتطور دلالة هذا اللفظ من العموم إلى الخصوص ، مثل كلمة (دابة) التي تعني : " كل ما يدبّ على الأرض مما يعقل ولا يعقل " ، لكنّ الناس حصروا استخدامها في الدلالة على الحيوانات الداجنة، فتخصص معناها. وأحياناً يحدث العكس؛ فقد يستخدم الناس لفظاً يدل على معنى مخصوص للدلالة على معنى عام ومع الاستعمال تتطور دلالة اللفظ ، كما نجد في لهجات بعض الدول العربية - مثلاً - أن لفظة (الحاجّ) أصبحت على ألسنة الناس تطلق على (كبار السنّ)، وهي مسمى من يحج إلى بيت الله شرعاً.

٢ - الاقتصاد اللغوي :

ينزع المتحدثون عادة إلى التعبير عن مبتغاهم بأقصر العبارات. وهذا قد يؤدي إلى اختزال عبارة كاملة في لفظة واحدة فيها، وهذا بدوره يؤدي إلى حدوث تطور دلالي في تلك اللفظة. فمثلاً يختصر العرب عبارة : (حللتم أهلاً) بكلمة (أهلاً)، وبذلك يتطور معنى هذه الكلمة الذي هو الأصل للأسرة وذوي القربى، ليشتمل على دلالة الترحيب.

٣ - التأثيل الشعبي :

(التأثيل : علم أصول الكلمات : علم يبحث عن العلاقات التي تربط كلمة بوحدة قديمة جداً تعد هي الأصل) يحدث هذا الأمر عندما يصيب اللفظ بعض التغير في الصوت ، ويصادف حينها أن يشبه صوت لفظ آخر ، فتصبح تلك الكلمة مماثلة لكلمة أخرى لها معنى آخر ، وعندئذ تختلط الدالّتان ، مثل كلمة : « كماش » الفارسية ، بمعنى : نسيج من قطن خشن ، قد تطورت فيها الكاف فأصبحت قافاً ، فشابهت الكلمة العربية : «قماش » . بمعنى : أراذل الناس ، وما وقع على الأرض من فتات الأشياء ، ومتاع البيت ، فأصبحت هذه الكلمة العربية ، ذات دلالة جديدة على المنسوجات .

٤ - سوء الفهم :

قد يقيس الإنسان ما لم يعرف ، على ما عرف من قبل ، ويستنبط على أساس هذا القياس ، فيصيب في استنباطه حيناً ، ويصل إلى الدلالة الصحيحة ، ويخطئ حيناً آخر ، فيستخرج دلالة جديدة ، قد تصادف

الشيوع والذبيوع بين الناس ، مثل كلمة (عتيد) التي تعني : " مهياً للشدائد " ، تطورت دلالتها في أذهان بعض الناس إلى معنى (عتيق) التي تعني : القديم أو الكريم والنجيب ، بسبب القياس الخاطئ .

٥ - اللغة الأدبية :

وهي ذات طبيعة خاصة تتجنب المباشرة ، وتلجأ إلى استخدام انزياحات لغوية (استخدام المجازات والاستعارات والكنايات) ، وهذه الأساليب تخرج باللفظ من معناه الحقيقي إلى معان أخرى .

٦ - الاقتراض اللغوي :

تعدّ ظاهرة الاقتراض اللغوي أمراً شائعاً بين اللغات ، وتتعدد أسبابها ، ومن ذلك : الحاجة لألفاظ تعبر عن الدلالات الجديدة. وغالباً ما تقترض الألفاظ مع دلالاتها، أو مثل موجة الاقتراض الكبيرة من اللغة العربية التي شهدتها لغات العالم الإسلامي كالفارسية والتركية حيث رافق اقتراض هذه الألفاظ اقتراض محمولاتها الدينية وحتى غير الدينية؛ كون الأمور الدينية متغلغلة في تفاصيل الحياة. وأيضاً نجد العديد من الألفاظ التركية دخلت إلى العربية نتيجة للجوار الجغرافي، وكذلك الاحتكاك الثقافي والسياسي طوال أربعة قرون من الحكم العثماني. يضاف إلى ذلك سبب آخر للاقتراض اللغوي هو الوضع الاجتماعي ، فغالباً ما تنزع الطبقات الاجتماعية العليا إلى اقتراض ألفاظ من لغات أجنبية لتكوين معجم لغوي خاص يختلف عن معجم عامة الناس.

وعند اقتراض هذه الألفاظ من المرجح أن تتأثر بعوامل عديدة في البيئة الجديدة تفضي إلى حدوث تغيير في محمولاتها الدلالية. فمثلاً نجد في بعض اللهجات العربية الحديثة لفظة (ظلميس) وتعني الغبي، وهي مأخوذة من اللفظة التركية (tertemiz) ، وتعني نظيفاً جداً. وغالباً قد تم استخدام هذه اللفظة مجازياً في اللغة العربية للتدليل على أن عقل فلان نظيف جداً بمعنى أنه فارغ، فتطورت دلالة هذه اللفظة وأصبحت مرادفاً للفظ (غبي) .

ثانياً - أسباب حضارية :

من المعلوم أن اللغات البشرية شأنها شأن سائر النظم الثقافية تتطور وفقاً للتطور الذي يحدث في الحياة. فظهور اختراعات جديدة أو أفكار جديدة تحتاج من الناس أن يجدوا لها ألفاظاً تدلّ عليها. وهذا ما يقوم بعمله كل صاحب فكر جديد فيلسوفاً أو مفكراً أو عالماً أو أدبياً أو حتى المترجمين إذا ما أرادوا نقل لفظ أجنبي إلى لغتهم، ولا شك أن المؤسسات والمجامع اللغوية تلعب دوراً مهماً في هذا المضمار.

وقد يتم هذا التطور الدلالي للألفاظ بأن يُعمد إلى أحد الألفاظ ذات الدلالات المتعددة، فيتم بعث هذه الدلالات وتطلق على مدلولات جديدة. ولهذا عدة تجليات، منها استخدام الألفاظ القديمة ذات الدلالات المندثرة، فيتم إحياء بعضها، ويطلق على المعاني المستجدة . ومن هذا ما نجده في اللغة العربية من تطور كلمة "سيارة" مثلاً، ففي العربية الكلاسيكية كانت "السيارة" جمع تكسير لكلمة "سيار" وهو المسافر ؛ جاء في سورة يوسف: { قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ يَلْتَقِطُهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ } . أما

في العربية الحديثة فإن اللفظ عينه قد أطلق على آلة تستخدم في التنقل؛ لما بين المسميين (القديم والمحدث) من جامع مشترك هو الحركة والانتقال من مكان لآخر.

ثالثاً - أسباب نفسية :

قد تدفع بعض الأسباب النفسية للإنسان إلى تطوير المحتوى الدلالي لبعض الألفاظ. فالتشاؤم من ذكر أسماء الأمراض الخطيرة كالسرطان مثلاً يدفع كثيراً من الناس للاستعاضة عنه بذكر صفته (المرض الخبيث) ، أو بذكر عبارة عامة (ذلك المرض) .

رابعاً - أسباب اجتماعية :

تعتبر الأسباب الاجتماعية من أكثر العوامل التي تدفع باتجاه تطوير دلالات الألفاظ. ومن هذه الأسباب الاجتماعية:

١ - الحرج الاجتماعي: فمثلاً قد يتطور المحتوى الدلالي لبعض الألفاظ حتى تحل محل ألفاظ أخرى ، قد يسبب استخدامها حرجاً اجتماعياً مثل ألفاظ (اللامساس) ، ومثل : الحديث عن بعض الإعاقات، فتستخدم عبارة (كريم العين) للتعبير عن الشخص الأعور. وأحياناً قد يؤدي الحرج الاجتماعي الناجم عن تشابه لفظين نطقاً، أحدهما يحمل دلالة تسبب الحرج إلى تخصيص المعنى الدلالي للفظة وحصرها في الدلالة التي تسبب الحرج.

٢ - الغزل : تميل عبارات الغزل إجمالاً إلى تجنب المباشرة واللجوء إلى عبارات مشحونة شعرياً بمعنى أنها تستخدم أساليب اللغة الأدبية كالمجاز والاستعارة والكناية.

أنماط التطور الدلالي :

لما كانت اللغة ظاهرة اجتماعية ، فإن حصر هذه الأنماط يعدّ أمراً صعباً؛ ذلك لأن هذه الأنماط تتطور كما تتطور دلالات الألفاظ . ومن ذلك :

أولاً- تضيق الدلالة :

ويسمى أيضاً تخصيص الدلالة، ويقصد به أن يكون للفظ ما دلالة واسعة ، ثم يتم تضيق هذا المجال الدلالي ليقصر على بُعد واحد من أبعاد اللفظ الدلالية. ومثال ذلك لفظ (حريم) الذي كان يعني "الذي حرّم مسه فلا يُدنى منه "، لكن هذه الدلالة تضيق فأصبحت اليوم تدلّ على نساء البيت.

وكذلك أيضاً لفظ (الصيام) الذي كان يعني قبل الإسلام الإمساك بالمطلق، وعندما جاء الإسلام تضيق دلالة هذا اللفظ وأصبحت مقتصرة على الإمساك عن المفطرات في وقت محدد .

ثانياً - توسيع الدلالة :

ويسمى أيضاً تعميم الدلالة ، ويُقصد به أن يكون للفظ ما دلالة خاصة ضيقة ، فيتم توسيع دلالتها ، فتنتقل من المستوى الخاص إلى المستوى العام. وعادة ما تحصل هذه العملية ضمن الحقل الدلالي الواحد. كأن تتوسع دلالة النوع لتدلّ على الجنس. والأمثلة على هذا النوع كثيرة في حياتنا، فمثلاً لفظ (العم) في أصل

يطلق على شقيق الأب، لكن دلالة هذا اللفظ تتوسع لتشمل كل ذكر من جيل الآباء. وكذلك مثلاً كلمة (الورد) ، والورد : إتيان الماء ، تم صار إتيان كل شيء ورْدًا .

ثالثاً – انتقال المعنى إلى حقل دلالي آخر :

ويحدث غالباً في اللغة الأدبية البلاغية ، وله عدة طرق منها الاستعارة ، والكناية ، والمجاز المرسل.

١ – الاستعارة :

تعرف الاستعارة بـ “أن يكون للفظ أصل في الوضع اللغوي معروف تدلُّ الشواهد على أنه اختُصَّ به حين وضع، ثم يستعمله الشاعر أو غير الشاعر في غير ذلك الأصل، وينقله إليه نقلاً غير لازم، فيكون هناك كالعاريّة. والأمثلة على هذا الأمر أكبر من أن تحصر، ومنها أن يوصف شخص ما لشجاعته بالأسد ، فتخرج لفظة (أسد) عن معناها الحقيقي لمعنى استعاريّ.

٢ – الكناية :

تشبه الاستعارة ، غير أن الاستعارة لا يستقيم معناها إلا في دلالتها المجازية ، أما الكناية فيستقيم معناها حقيقة ومجازاً. فقولك: (كثير الرماد) تحمل معنى حقيقياً، وفي الوقت نفسه تكني عن معنى آخر هو الكرم.

٣ – المجاز المرسل :

يعني “عدل في اللفظ عما يوجبه أصل اللغة“ ، وله أنواع كثيرة ، منها : البعض من كل ، والكل من بعض، والحالية ، والمحلية... وغير ذلك. كقولنا: (طلب يد الفتاة للزواج) وهنا يخرج معنى (اليد) من العضو إلى الدلالة على الفتاة، أي طلب الفتاة للزواج.

رابعاً – انحطاط الدلالة :

يُقصد به انتقال دلالة اللفظ من قيمة عليا إلى قيمة دنيا. ومن ذلك التطور ما أصاب لفظة (بهلول) فقديمًا كانت تعني: “العزيرَ الجامعُ لكل خير“ ، لكنها تستخدم اليوم في اللهجات الشامية بمعنى الأحمق.

خامساً – رقي الدلالة :

هو كعس انحطاط الدلالة ، ويُقصد به انتقال دلالة اللفظ من قيمة دنيا إلى قيمة عليا. ومثال ذلك التطور الذي حصل في لفظة (عربة) التي كانت تطلق سابقاً على وسيلة النقل التي تجرها الحيوانات ، بينما هي اليوم تطلق على السيارات الحديثة.

رصد المعاجم العربية لظاهرة التطور الدلالي :

كان المقصود من تأليف المعاجم العربية هو تدوين اللغة القديمة ، لذا فإن الناظر في تلك المعاجم يرى أن مادتها قد قام بجمعها الرعيل الأول من اللغويين الذين ساحوا في الجزيرة العربية يجمعون اللغة من أفواه العرب ، وقد شارك كثير من علماء القرنين الأول والثاني من الهجرة في هذا المجهود الرائع ، فشافهوا الأعراب

وساءلهم ، ودونوا ما أخذوه عنهم في رسائل صغيرة من تلك الرسائل التي تعالج موضوعاً واحداً من موضوعات اللغة ، كرسالة النبات والشجر ، للأصمعي ، وخلق الإنسان ، والإبل ، (توفي سنة ٢١٦هـ) ، وقد وقفت حركة الجمع هذه بعد فترة ، واقتصرت جهد اللاحقين من اللغويين على تنظيم تلك المادة التي جمعها السابقون ، وتبويبها طبقاً لمناهج مختلفة ؛ فنشأت عندنا المعاجم العربية بأنواعها المختلفة .

لكن لم يحاول أي لغوي من أصحاب المعاجم أن يدون ملاحظاته على تلك اللغة القديمة ، لغة البدو في القرون الأولى ، ولغة معاصريه ؛ فلم يحاول واحد من علماء القرن الخامس الهجري ، مثلاً ، أن يبين لنا المعنى الذي يفهمه معاصروه من لفظة جمعها أصحاب الرعي الأول في القرن الثاني الهجري ، كما أنه لم يبين لنا كيف كان معاصروه ينطقون بهذه اللفظة في أحاديثهم اليومية ، وهل كان هذا اللفظ لا يزال على قيد الحياة ، أم أنه كان قد اندثر ، ولحقه البلى ، وأصبح في ذمة التاريخ اللغوي ! (*) .

أثر التطور اللغوي في لغتنا:

يخدم التطور اللغوي العربية من حيث إنه:

✓ ينمي رصيدها المعجمي العام والخاص (المصطلح) .

✓ يكفل لها مسايرة التقدم العلمي والحضاري.

✓ يجعلها ، مع التسليم بغناها ، تزدان بأفنان من أطيب اللغات الأخرى .

✓ يتيح لها فرصة التجديد في وصف ذاتها: تنظيراً وتقعيداً.

غير أن نتائجها قد لا تكون محمودة إذا لم يضبط بضوابط تكبح جماحه، وتضعه حيث ينبغي أن يكون، فبعض التطور أقرب إلى التدمير منه إلى تطوير اللغة وإنمائها.

(*) لحن العامة والتطور اللغوي ، د. رمضان عبد التواب ، مكتبة زهراء الشرق ، القاهرة - جمهورية مصر العربية ، ط ٢ ، ٢٠٠٠م ، ص ٦٦ - ٦٨ .

الدلالة والمصطلح العلمي

المصطلح في اللغة :

- الاصطلاح في المعاجم العربية القديمة :

بالنظر إلى المعاجم العربية القديمة نجد أن لفظة (الاصطلاح) تحمل دلالة الصلح، فابن منظور يقول في معجم لسان العرب : " تصالح القوم بينهم والصلح: السلم، وقد اصطلحوا وصالحو وأصلحوا وتصالحو واصلحوا".

وفي تاج العروس للزبيدي " واصطلحا واصلحا مشددة الصاد، كل ذلك بمعنى واحد " ، وفي أساس البلاغة للزمخشري " وصالحه على كذا و تصالحا عليه " .

وبناء عليه نجد أن المعنى المتواضع عليه في المعاجم القديمة هو : " الاتفاق والتوافق " ، واصطلاح القوم: تصالحو، بمعنى وقع بينهم صلح.

ومن الجدير بالذكر أن ما ورد عند القدماء هو لفظ الاصطلاح ولم يرد عنهم لفظ المصطلح .

في تاريخ المصطلح :

على الرغم من عدم الوقوف عند أول استعمال للفظ مصطلح، فإن عملية البحث التاريخي تدلّ على أنها قديمة في مستوى الحضارة العربية الإسلامية ؛ " فقد كان معروفاً ومتداولاً جداً بين القدماء استعمال لفظة (مصطلح) ، بالرغم من عدم تقييدها في المعاجم العربية القديمة، من ذلك التصوف والتاريخ، وصناعة الإشاء وعلوم الحديث والقراءات، وصناعة الشعر واللغة والمناظرة.

كما نجد آثارها أيضاً في أواسط القرن السادس للهجرة، مع أبي منصور محمد بن محمد البروي (ت ٥٦٧هـ) من خلال كتابه "المقترح في المصطلح"، وبعده كان رواج التوظيف في عدة حقول معرفية وعلمية مختلفة ، حيث ظهر لفظ " مصطلح " في عناوين بعض مؤلفات علماء الحديث مثل " الألفية في مصطلح الحديث " .

وفي القرن الثاني عشر الهجري، استعمل محمد التهاوني (١١٨٥هـ) لفظي " اصطلاح " و"مصطلح " بوصفهما مترادفين في مقدمة كتابه "كشاف اصطلاحات العلوم .

أما المعاجم الحديثة ، فنجد أن لفظ " مصطلح " لم يرد في المعاجم العربية إلا في معجم " الوجيز لمجمع اللغة العربية الذي صدر سنة ١٩٨٠م و "المعجم العربي الأساسي" الذي صدر سنة ١٩٨٩م .

وسبب ذلك أن المعاجم لا تسجل جميع ألفاظ اللغة، وأن المعاجم العربية جرت على عدم ذكر صيغ المشتقات المطردة، وكلمة " مصطلح" اسم مفعول مشتق من الفعل " اصطلاح " فمثل هذين اللفظين لم يردا في المعاجم اللغوية العربية إلا في وقت متأخر، فعّل أول من أورد لفظ "اصطلاح" هو الزبيدي في قاموسه تاج العروس في القرن الثالث عشر للهجرة، ثم إن المعاجم العربية قد جرت على عدم إيراد صيغ المشتقات المطردة

، وكذلك كل الكلمات التي يمكن توليدها بآلية قياسية وقواعد صرفية معروفة إلا في الحالات الشاذة أو عند الاقتضاء، لأن إيراد جميع المشتقات والتوليدات يمكن أن يؤدي إلى تضخم حجمها .

بين الاصطلاح والمصطلح :

قال أبو البقاء الكفوي: الاصطلاح: هو اتفاق القوم على وضع الشيء وقيل إخراج الشيء عن المعنى اللغوي إلى معنى آخر لبيان المراد، ويستعمل الاصطلاح غالباً في العلم الذي تحصل معلوماته بالنظر والاستدلال ، وقال الجرجاني : الاصطلاح "عبارة عن اتفاق قوم على تسمية الشيء باسم ما ينقله عن موضعه الأول" .

وأما دلالة المصطلح فنجدها عبارة عن نهاية رحلة فعل الاصطلاح من قبل أهل الاختصاص، أو نتاجه الرمزي أو المعنوي، فهو " اللفظ أو الرمز اللغوي الذي يستخدم للدلالة على مفهوم علمي أو عملي أو فني أو أي عمل ذي طبيعة خاصة". فهو وضع العبارة أو اللفظ بإزاء المعنى المراد خارج مراد اللغة أو الحقيقة اللغوية أو الحقيقة العرفية العامة، بمعنى أننا إزاء وضع عرفي خاص.

وعليه فالمصطلح هو كلمة أو مجموعة من الكلمات تتجاوز دلالتها اللفظية والمعجمية إلى تأطير تصورات فكرية تقوى على تشخيص وضبط المفاهيم.

هذا الانتقال بالدلالة من وضعها اللغوي إلى وضع آخر تحتمله مع وجود رابطة بين الدالتين، من خلال حصر دلالتها ضمن سياق خاص مع الإبقاء على الدلالة المعجمية- الاجتماعية المتداولة، ، لكن هذا التوافق الخاص مشروط بوجود مناسبة أو وشائج معنوية واصله بين العرف العام والعرف الخاص ، قصد تحييد الاعتباط والعبثية الاصطلاحية .

المصطلح والاصطلاح في المعاجم الغربية :

أقدم تعريف أوروبي معتمد لهذه الكلمة هو الآتي: " المصطلح كلمة لها في اللغة المتخصصة معنى محدد وصيغة محددة، وعندما يظهر في اللغة العادية يشعر المرء أنّ هذه الكلمة تنتمي إلى مجال محدد.

وبعد تأسيس مجال علم المصطلح نجد التعريف الآتي: " المصطلح رمز متفق عليه يمثل مفهوماً محدداً في مجال معرفي خاص " .

وما يمكن استخلاصه أنّ المعاجم الغربية قيدت المصطلح بمفهوم محدد، وبمجال علمي أو تقني معيّن، وحددت استعماله في حقل له خصوصياته ومعاييره وضوابطه التي يفقهها ذوو الاختصاص، بحيث تميّزت العبارة الاصطلاحية عن عبارة السياق العام أو المتداول " .

وعليه يمكن القول بأنّ المواضعة الغربية للمصطلح لا تختلف عن المواضعة العربية له في عمومها، على اعتبار الاتفاق على مسألة الانتقال بالعبارة من وضع الاشتراك اللغوي إلى وضع المراد الخاص، بما أنّ العبارة قد وقع تقييد مجالها أو دلالتها بحيث تغدو ضمن مجالها الجديد ذات دلالة واضحة ومحددة ومقيدة بضوابط ومعايير ما وضعت من أجلها ، فتكون معلومة الدلالة ضمن سياقها من قبل واضعيها، لتكون عنواناً

على العبارة المقصودة في حد ذاتها ومقصورة عليها فحسب دون أن يداخلها تأويل ؛ ذلك أن كل علم ينحت لنفسه من اللغة معجماً خاصاً .

من المصطلح إلى علم المصطلح :

يكنم الولوج إلى العلوم ومحاولة ضبط دلالاتها من خلال المصطلحات، ولذلك اعتبر فهم المصطلح نصف العلم، لأن المصطلح هو اللفظ الحامل للمفهوم والمعبر عنه، والمعرفة مجموعة من المفاهيم المترابطة والمتداخلة ضمن منظومة متكاملة. وبما أن اللغة وعاء المعرفة، يكون المصطلح هو الحامل للمضامين والدلالات العلمية للغة، فهي أداة التواصل والتفاعل والتقييد في مجتمع المعلومات، ومن ثم نلمح أهمية المصطلح و دوره الحاسم في تشكيل ملامح هذا المجتمع التقني .

وعلم المصطلح هو العلم الذي يبحث في العلاقة بين المفاهيم العلمية والألفاظ اللغوية التي تعبر عنها. وعلم المصطلح علم مشترك بين اللسانيات، والمنطق، وعلم الوجود، وعلم المعرفة، والتوثيق، وحقول التخصص العلمي، ولهذا ينعته الباحثون الروس بأنه "علم العلوم".

صناعة المصطلح :

صياغة المصطلح لها ثوابت وضوابط معرفية مطلقة ومعايير لغوية عامة منها :

١ - وجود علاقة بين الدلالة اللغوية للعبارة أو المفردة والمعنى الاصطلاحي ، وإلا تحولنا إلى (مسألة الرمز)، والاصطلاح بالرمز أمر آخر غير الاصطلاح باللفظ ، فهناك وشيجة ما من المعنى اللغوي إلى المعنى الاصطلاحي ، من حيث تخصيص دلالتها ضمن الحقل المعرفي التي انتخبها لتحمل على حروفها دلالة غير تلك المشاعة في الحقل التداولي العام، "ولو تتبعنا منظومة المصطلحات في كل فن من فنون المعرفة وقارناها بالرصيد القاموسي المشترك في اللغة لوجدنا مجموعة كبيرة يتداولها الناس بمعانيها الشائعة ويتداولها المختصون بمفاهيم محدّدة، فتنفصل هذه عن تلك في الدلالة انفصلاً لا يبقى معه إلا التواتر في الشكل الأدائي.

وعليه فإن الوسائل والأدوات لابد أن تخرج اللفظ عن معناه اللغوي، فإن لم يخرج عن معناه اللغوي فليس بمصطلح، فكلمة حبل أو مشط أو ما شابههما ليست بمصطلحات حيث إن وضعها بإزاء معانيها من وضع اللغة ولم تخرج عن هذا الوضع إلى معنى جديد.

٢ - أن يقرّه فريق من العلماء من أهل الاختصاص، ليغدو مقبولاً وآخذاً بالشرعية الإجرائية التداولية، وقبل إقراره يكون مجرد اقتراح أو مشروع مصطلح، أي في الوضع الوسط بين اللفظ اللغوي والمصطلح.

٣ - يفضل عادة اختيار اللفظة المفردة لسهولة استعمالها وحفظها.

٤ - أن يشتهر ذلك المعنى ويظهر بحيث ينصرف الذهن إليه عند إطلاق اللفظ، فإن لم يشتهر لم يؤدّ وظيفته التي من أجلها كانت عملية الاصطلاح، وهي أن يصل المعنى إلى ذهن السامع من أقرب طريق للاستغناء به عن الإطالة في الكلام، وهذا الاشتهار هو ما يمكن أن نسميه القبول العام من أهل الفن.

وعلاقتها بالتطور الدلالي والاشتقاق والنحت والتعريب والدخيل

أولاً - صياغة المصطلحات من خلال (الاشتقاق) :

اتخذت المصطلحات العربية للتعبير عن العلم الحديث والحضارة الحديثة عدة أبنية صرفية عربية ، والمقصود هنا بالاشتقاق تكوين لفظ عربي جديد من مادة عربية عرفت المعجمات ، وبوزن عربي عرفه النحاة أو أثبتته النصوص . تقوم عملية الاشتقاق على القياس ، وبذلك يصبح المشتق الجديد جاريًا على وزن من الأوزان العربية القديمة ، فيكون على نمط المصطلحات المألوفة الموروثة ، ويصبح مقبولا عند أبناء الجماعة اللغوية ومعترفًا به عند علماء اللغة . والاشتقاق بهذا المعنى عملية قياسية هادفة إلى تكوين كلمات جديدة وفقًا للقواعد التي تقوم عليها الكلمات الموجودة في اللغة .

ولقد أفادت العربية عبر تاريخها الطويل من (الاشتقاق) ، فتكونت كلمات عربية دالة على المفاهيم الجديدة ، ذكر ابن فارس كلمات حدثت في صدر الإسلام ، ومن ذلك قولهم لمن أدرك الإسلام من أهل الجاهلية (مُخْضَرَم) من الفعل (خَضَرَم) بمعنى : (قطع) ، فسُمي هؤلاء (مخضرمين) ؛ لأنهم لم يستمروا في الجاهلية ودخلوا الإسلام. وذكر ابن خالويه (المتوفى ٣٧ هـ) أن لفظ (الجاهلية) اسم حدث في الإسلام للزمن الذي كان قبل البعثة ، وهذه الكلمة وتلك من الكلمات الكثيرة التي تكونت في صدر الإسلام .

وتجاوز (الاشتقاق) المواد اللغوية العربية ، فتكونت كلمات مولدة من مواد لغوية دخيلة ، وبأوزان عربية.

ومن أمثلة ذلك صيغة (فَعَل) ، فقد قرر المجمع اللغوي جواز استعمال هذا الوزن لتكوين مصطلحات كثيرة ، مثل : خَدَّر ، شَخَّص ، حَلَّل ، جَبَس .

ومن ذلك أيضًا وزن (إفعال) ، الذي تكونت منه مصطلحات علمية عديدة في مجالات مختلفة ، مثل : إبصار ، إجهاض ، إحلال ، إشعاع ، إزالة .

ثانيًا - صياغة المصطلحات من خلال (النحت) :

يرجع مصطلح « النحت » إلى الخليل بن أحمد ، ذكره في كتابه (العين) ، وأوضحه بعدة أمثلة : فالفعل (حَيَّعَل - يحيعل - حيعلة) مأخوذة من (فعل وحرف جر) : حي + علي ، وهذا من النحت ، والنسبة إلى عبد شمس (عَبْشَمِي) ، وإلى عبد القيس (عَبْقَسِي) . وأوضح الخليل هذه الأبنية المنحوتة على النحو التالي : «أخذوا من كلمتين متعاقبتين كلمة واشتقوا فعلا ، وبين ذلك بشرح بنية كلمة (عَبْشَمِي) بقوله : أخذ العين والباء من (عبد) وأخذوا الشين والميم من (شمس) وأسقط الدال والسين ، فبنى من الكلمتين كلمة ، فهذا هو النحت » ، أي أن النحت تكوين كلمة مركبة من كلمتين أو أكثر .

وظلت كتب اللغة بعد الخليل تذكر النحت بأمثلة محدودة ، فابن السكيت ذكر في كتابه (إصلاح المنطق) عدة مصادر منها (البَسْمَلَة) نَحْتًا من عبارة : (بسم الله الرحمن الرحيم) ، و(الهيلة) نَحْتًا من عبارة (لا إله إلا الله) ، و (الحوقلة) و (الحولقة) من (لاحول ولا قوة إلا بالله) ، و(الحمدله) من : (الحمد لله) .

وقد نظر مجمع اللغة العربية بالقاهرة في موضوع النحت ، ووافق على نحت الكلمات العربية عند الضرورة ، ومن الكلمات المنحوتة التي أقرها مجمع اللغة العربية بالقاهرة في مصطلحات علم الكيمياء (حمقلي) ، وهى صفة للمادة التي تعمل كحمض ضعيف أو قلوي ضعيف ، وهكذا تكونت من (حمض + قلوي) كلمة (حمقلي) .

وهناك صيغ منحوتة عناصرها أجنبية ، مثل (تليفون) ، وأصلها يوناني معناه: المخاطبة عن بعد، وهو مركب من : télos " غاية ونهاية وحدّ " ، و fone أي " صوت " . وثمة صيغ مختلطة بها عنصر أجنبي وعنصر عربي ، مثل (كهرومغناطيسي) ترجمة لمصطلح electro-magnetic وقد ترجم electro إلى (كهر) عن كلمة (كهرباء) التي عرفت العربية قبل العصر الحديث ، وكلمة magnetic أخذت علي سبيل التعريب بالاقتراض.

وعلي هذا نلاحظ وجود صيغ منحوتة من عناصر عربية ، أو من عناصر عربية وأجنبية ، أو من عناصر أجنبية .

ثالثًا - صياغة المصطلحات من خلال (التعريب والدخيل) :

شغل اللغويون العرب منذ سيبويه وحتى عصرنا الحاضر ببحث موضوع التعريب ، وقد اهتموا ببيان القواعد التي خضعت لها الألفاظ الدخيلة عندما عُربت . ذكر الجوهري (ت : ٣٩٣هـ) أن تعريب الاسم الأعجمي هو « أن تتفوه به العرب على منهاجها » ، وعرف السيوطي (ت : ٩١١هـ) المعرب على أنه « ما استعملته العرب من الألفاظ الموضوععة لمعان في غير لغتها » . ولهذا فإن الألفاظ المعربة عجمية الأصل عربية باعتبار الحال .

وهذا الاهتمام من جانب اللغويين بموضوع المعرب ذو طابع تاريخي، يُعنى في المقام الأول برصد ما حدث من تغيرات في البنية.

ولقد قرر المجمع اللغوي جواز استعمال بعض الألفاظ الأعجمية عند الضرورة على طريقة العرب في التعريب. وهو قرار يجيز تعريب بعض المصطلحات الفنية والعلمية التي يعجز المجمع عن إيجاد مقابل لها ، لا المصطلحات الأدبية .

ولتعريب المصطلحات (أي نطقها بطريقة تناسب الأوزان العربية الفصيحة) فوائد عديدة ، منها : إشاعة المصطلحات العلمية والفنية بين الناطقين بالعربية ، وهي مصطلحات علمية عامة ، تكاد تكون مشتركة بين العلماء والباحثين والمخترعين في مختلف البلاد المتحضرة ، فمعرفة نصوصها تُمكن الباحثين العرب من معرفة سماتها الحقيقية معرفة دقيقة لا لبس فيها ولا إيهام ، فيتابعون ما يُدَوّن عنها ، وما يطرأ عليها في

البلدان الأجنبية . مثل تعريب المصطلحات المنسوبة إلى أعلام أجنبية ، وتعريب أسماء الأدوية والعقاقير ، والمركبات الكيميائية وأسماء النباتات والحيوانات، نحو مصطلحات : الانزيم والأيون والالكترون ؛ لأن ترجمتها وتعدم تعريبها يُذهب بقيمتها من حيث هي مصطلح علمي .

ومن مثل ذلك أيضًا مصطلح (ورشة) التي هي تعريب للكلمة الانجليزية workshop ، التي تدل على بناء أو حجرة يتم فيه أي عمل ، وبخاصة العمل اليدوي . ولقد كانت لجنة الميكانيكا والكهرباء بمجمع اللغة العربية بالقاهرة ترى إقرار هذه الكلمة المعربة . ولكن المجمعين في محاولتهم إيجاد كلمة عربية مقابلة وجدوا عدة كلمات (مشغل) و (مَرَسَم) و (مَصْنَع) و (مَغْمَل) ، ولكل كلمة منها دلالتها الخاصة بها ، وهي غير مترادفة ؛ حيث يُطلق على المكان الذي يتم فيه الرسم (مَرَسَم) ، ولا يُسمى (ورشة رسم) . وعلى هذا فإن هذه الكلمات غير مترادفة . وكان ثمة رأى بأن « كلمة ورشة قد استعملها العامة وجرت على ألسنتهم ، وبذلك أصبحت عربية ، وليس للمجمع سلطة في أن يقول « ورشة غير عربية ما دام أصحاب التخصص في الأقطار العربية متفقون على استخدامها " .

العرف اللغوي العام والعرف الخاص

أولاً - العرف في اللغة :

الدلالة المعجمية لمصدر الفعل "عرف" كما يقول ابن فارس هي : (العين والراء والفاء) ، ولها أصلان صحيحان ، يدلُّ أحدهما على تتابع الشيء متصلاً ببعضه ببعض ، والآخر يدل على السكون والطمأنينة ، فالأصل الأول (العُرف) ، ومنه عُرف الفرس ، وسُمِّيَ بذلك لتتابع الشعر عليه ، ويُقال: جاءت القطا عُرفاً عُرفاً [القطا : جنس من الطيور] ، أي بعضها خَلْفَ بعض ، وقال تعالى : { والمرسلات عُرفاً } ، يعني الرياح أرسلت متتابعة كعرف الفرس . وقيل : عرفاً أي كثيراً . تقول العرب : الناس إلى فلان عرف واحد ، إذا توجهوا إليه فأكثرُوا . والأصل الثاني (المعرفة والعرفان) ، تقول : عرف فلان فلاناً ، عرفاناً ، ومعرفة وهذا أمر معروف ، وهذا يدل على ما قلناه من سكونه إليه ؛ لأن مَنْ أنكر شيئاً توحش منه ونبا عنه : والعرف « المعروف » سمي بذلك لأن النفوس تسكن إليه .

وعند ابن منظور في معجمه (لسان العرب) أن العرف يدل بعمومه على المعروف ؛ قال : " والعُرفُ والعارفة والمعروف واحد ضدُّ النُكر ، وهو كلُّ ما تُعرفه النفس من الخير وتَبَسَّأ به ، وتطمئن إليه " .

وبالنظر في كلام اللغويين يمكن القول بأنَّ (العُرف في اللغة) يدور حول تتابع الشيء الشيء ، وترادفه وتلوه ، ولعلَّ هذا المعنى يقترب من معناه الاصطلاحي .

ثانياً - العرف في الاصطلاح :

هناك تعريفات عدّة للعرف أشهرها ؛ هو أنَّ العرف : " ما استقرت النفوس عليه بشهادة العقول ، وتلقته الطبائع بالقبول " ، وقال الكفوي صاحب كتاب (الكليات) : " العرف هو ما استقر في النفوس من جهة شهادات العقول ، وتلقته الطبائع السليمة بالقبول " . وعرفه بعض المعاصرين على سعة معناه بأنه : " ما تعارف جمهور الناس وساروا عليه ، سواء كان قولاً ، أو فعلاً أو تركاً " .

تعريف العرف اللغوي :

يُقصد به غلبة استعمال اللفظ في غيره معناه الأصلي [أي في غيره معناه في اللغة] حتى يُعتبر هو المتبادر إلى الذهن ، أو هو ما عرفته العرب ، وجرى في فهمها من معاني ، وألفاظ ، وأساليب ، كعرف الناس إطلاق لفظ (الدابة) على ذوات الأربع ، فهو إطلاق عرفي لا لساني لغوي ؛ لأن معناها في اللغة : كل ما يدب على الأرض .

ويمكن إجمال ما سبق بقولنا : بأنه قد يشيع بين الناس استعمال بعض الألفاظ أو التراكيب في معنى معيّن ، بحيث يصبح ذاك المعنى هو المفهوم المتبادر منها إلى أذهانهم عند الإطلاق بلا قرينة ولا علاقة عقلية ، ولا يفهم منه غير ذلك المعنى . أي أن العرف اللغوي هو كل لفظ ، أو معنى ، أو أسلوب استعملته العرب في خطابها ، وجرى في فهمها بما يألّفونه ، وغني به ما عنوا .

ومما يدل على أهمية العرف اللغوي في فهم المراد من الخطاب أن مَنْ حمل كلام الأطباء على غير عرفهم المعروف من خطابهم وتأول المخاطب كلامهم على غير ظاهره؛ لم يصل إلى فهم مرادهم البتة، بل أفسد عليهم علمهم وصناعتهم ، وهكذا أصحاب علم الحساب، والنحو، وجميع أرباب العلوم.

وحتى تتضح أهمية العرف اللغوي في فهم المراد من الخطاب نسوق تفسير الطبري لقوله تعالى : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ ﴾ [البقرة: ١٤٣] ، فقد يعترى الإنسان سوء فهم لقوله سبحانه: (إِلَّا لِنَعْلَمَ) ، فيظن أن الله تعالى لم يعلم المتبع لرسوله من المنقلب على عقبه إلا بعد تحويل القبلة! وهذا الظن عظيم في حق الله تعالى. لكن هذا يحصل لمن حصر الدلالة في مجرد اللفظ أو الوضع الأول، من دون نظر إلى سياقه اللغوي والاستعمالات العرفية العربية ، التي وفق ضروبها نزل القرآن الكريم.

وقد أورد الطبري هذا الإشكال ، وأجاب بأن الله - جل ثناؤه - هو العالم بالأشياء كلها قبل كونها، ومعنى الآية : (وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا ليعلم رسولي وأوليائي ؛ إذ كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأوليؤه من حزب الله).

ودلل الطبري على ذلك بقوله: (وكان من عادة العرب إضافة ما فعلته أتباع الرئيس إلى الرئيس، وما فعل بهم إليه، نحو قولهم: " فتح عُمر بن الخطاب سواد العراق، وجبى خراجها"، وإنما فعل ذلك أصحابه، عن سبب كان منه في ذلك. وكالذي روي في نظيره عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: يقول الله جل ثناؤه: مَرَضْتُ فلم يعدني عبدي، واستقرضته فلم يقرضني، وشتمني ولم ينبغ له أن يشتمني... فأضاف تعالى ذكره الاستقراض والعيادة إلى نفسه، وقد كان ذلك بغيره، إذ كان ذلك عن سببه .

فشأن العرب هو عرفهم وتداولية خطابهم، ولا يمكن أن يقرأ الخطاب قراءة مقاصدية شاملة من دون هذا المعيار. فعلم بذلك أن فهمنا لمعنى الآية : ليعلم رسولي وأوليائي؛ من طريق الدلالة العرفية وليست الوضعية، فالعرب قد تسند الكلام إلى القائل وهي تريد غيره . أي أن العرف اللغوي هو الأساس المرجعي لفهم النص القرآني، والعاصم لمعاني الآيات من التحريف والتزييف والعامل على قصر الدلالات اللغوية على المعاني المقصودة.

العرف اللغوي العام :

هو ما سبقت الإشارة إليه ، وهو أن يتفق أهل العرف العام على أن يراد من اللفظ مفرداً كان أو مركباً معنى غير المعنى الأصلي ، وبذلك يسمى حقيقة عرفية عامة .

العرف اللغوي الخاص :

هو ما لم يتعارفه عامة الناس أو أهل البلاد جميعاً ، مثل الألفاظ التي اصطلح عليها أهل العلوم ، وأرباب الحرف والصناعات فإنها يفهم منها عند الإطلاق هذه المعاني الاصطلاحية دون اللغوية لتلك الألفاظ ، مثل مصطلح (الرفع) عند النحاة .

الرصيد اللغوي وأنواعه

يتمثل الرصيد اللغوي للإنسان في مجموع الكلمات والمعارف التي يعرفها ويدرك مدلولاتها، ويعرفه أحد الباحثين بقوله: تتمثل ثروة الطفل اللغوية في الكلمات التي يعرف مدلولاتها عندما يسمعها أو يقرأها أو يستخدمها، وهو ينظر إلى اللغة على أنها تأليف من كلمات ، وتعلمه اللغة يتطلب تعلم الكلمات أولاً . بمعنى أن ثروة الطفل اللغوية تكمن في مدى معرفة معاني الكلمات ، ولا تظهر أهميتها ولا تظهر البراعة في استخدامها ما لم تبرز معبرة عن ثروة فكرية أو عن حصيلة متميزة جيدة نافعة من المعاني، ومخزون مؤثر من العواطف ، وعن صور ذهنية متلائمة معها. فقيمة الثروة اللغوية تبرر كلما تم صياغتها في قوالب تعبيرية دالة تحمل معاني الفكر.

تنمية الرصيد اللغوي :

يتم تنمية ذلك الرصيد اللغوي من خلال ما يقرؤه الطالب من دروس ، ويحفظ من نصوص ، ويكتب من موضوعات ، وينطق من عبارات ، وهو يسأل أو يجيب أو يحاور أو يناقش أو يخطب، ومما يختاره من قصص وقراءات خاصة ، ويتلقى ألفاظ اللغة من زملائه أئداده في السن وأقرانه في الدراسة وشركائه في العلم يتحدث إليهم ويحاورهم أو يجادلهم ويناقشهم ، فيتلفظ الكثير من مفردات اللغة التي اكتسبها من موارد اللغة الخاصة والعامة كل بحسب أسرته ومحيطه ونشأته ، وبذلك فهو ينقل اللغة ويتلقى تراكيبها وصيغتها من هذه الموارد بجميع مستوياتها وأشكالها.

وكلما زادت حصيلة الفرد اللغوية تطورت قدرته على فهم معاني ومدلولات الألفاظ والتراكيب والصيغ اللغوية وإدراك مفاهيمها من خلال سياقاتها المتنوعة، وبالتالي تمكن الفرد من اختراق مجاهل لغوية كثيرة، وهكذا تبقى الحصيلة اللغوية في تنام وتطور مستمر .

وهناك من ذهب إلى أن اكتساب الرصيد المعجمي قد يطال الحياة كلها فيقول : إنَّ اكتساب الرصيد المعجمي يُعتبر سيرورة طويلة قد تطال الحياة كلها، غير أنه مع ذلك فإنَّ السنة الثانية أو الثالثة من حياة الطفل تمثل المرحلة الحاسمة لتكون ذلك الرصيد ... والذي عادة ما يسمى بتكون الرصيد المعجمي في سن مبكرة، فهذه المرحلة تشكل المرحلة المفتاح التي تشهد بناء إمكانيات معجمية ومن ثم بناء اللغة ذاتها .

وبذلك نستنتج من هذا القول أن السنوات الأولى من عمر الطفل تشكل منعرجاً حاسماً في بناء لغته ويستمر هذا البناء والتعلم مدى حياته .

أنواع الرصيد اللغوي :

١- إما قديمة موروثة بألفاظها ودلالاتها، وهذا يقابل ما يسميه المحدثون بـ (الشر المستمر من الدلالات).

٢- وإما ألفاظ قديمة مُنحت دلالات جديدة بعد مجيء الإسلام، أي أنها أصابها التطور الدلالي ، فعُـمِّم معناها أو خُصص أو نُقل إلى معنى آخر وكانت من قبل مستعملة في دلالات أخرى.

٣- وإما ألفاظ جديدة في صيغها ودلالاتها، وهي من البنية الصرفية العربية نزل بها القرآن ، أو دل عليها الرسول (صلى الله عليه وسلم)، ولم تكن تعرفها العرب قبل ذلك.

٤- وإما ألفاظ أعجمية اقترضتها العرب من لغات الأمم الأخرى وعربتها، أي أنها صاغتها على أبنيته وأنشأتها على أوزانها ، فأصبحت من نسيج العربية ولم تعد تمت إلى أصولها القديمة بسبب.

ومن أمثلة النوع الثاني لفظة (الصلاة) التي كانت تعني (الدعاء) قبل الإسلام ، ولفظة (الحج) التي كانت تعني (القصد) .

ومن النوع الثالث أسماء جاءت في القرآن لم تكن العرب تعرفها ولا غيرهم من الأمم، مثل : تسنيم ، وسلسبيل ، وغسلين ، وسجين ، والرقيم وغير ذلك. فكلمة (تسنيم) جاءت في قوله تعالى : { ومزاجه من تسنيم.. } ، شراب ينصب على أهل الجنة من علو في غرفهم ومنازلهم ، وقيل : يجري في الهواء ، فينصب في أواني أهل الجنة على قدر ملئها ، فإذا امتلأت أمسك ، وقال ابن مسعود وابن عباس: هو خالص للمقربين يشربونها صرفاً ويمزج لسائر أهل الجنة وهو قوله : ومزاجه من تسنيم .

وكلمة (سلسبيل) الواردة في قوله تعالى : {عيناً فيها تسمى سلسبيلاً } ، قال الراغب: " سلسبيل ماء صاف سهل المدخل في الحلق سائغ للشرب " ، ولفظة.. (سجين) في قوله تعالى : { كلا إن كتاب الفجار لفي سجين } ، قال أبو عبيدة : (لفي سجين) في حبس، فعيل من السجن .

ومن النوع الرابع كلمة (تلسكوب - بروتين - استراتيجية - بنك إلخ)

الدلالة والأدب

علاقة التطور الدلالي بدراسة الأدب:

اتجه النقد الأدبي الحديث نحو اللغة لتكون منطلقاً له ، وظهرت وشائج بين البحث الدلالي والنصوص الشعرية والنتاج النثري ، وهناك طريقتان يتم بهما دراسة الأدب ونقده : دراسة الأدب (من الداخل) ؛ أي اتخاذ النص أساساً للعمل ثم الاستفادة من المؤثرات الأخرى خارج الإبداع، ودراسة الأدب (من الخارج) بالبحث في شخصية الأديب، وعلم النفس وحالة المجتمع ... إلخ. وأنصار النظرة الأولى يرون أن المنطلق الطبيعي والمعقول للعمل في البحث الأدبي هو تفسير الأعمال الأدبية ذاتها وتحليلها، فحين نريد أن ننتقد أثرأ أدبياً علينا أن نعرف اللغة التي كُتِب بها .

ولقد قال (باتيسون) في كتابه (الشعر الإنجليزي واللغة الإنجليزية) : إن الأدب جزء من التاريخ العام للغة، وإنه يعتمد عليها اعتماداً كاملاً ، وأعتقد أن التاريخ الحقيقي للشعر هو تاريخ التغيرات في نوع اللغة التي كُتِبَتْ بها قصائد متتالية، وأن هذه التغيرات في اللغة تنجم عن ضغط الاتجاهات الاجتماعية والفكرية .

ولقد كان مطلع العصر الحديث متأثراً بالروح الرومانسية التي ألحت على أن " الأزمنة المختلفة تتطلب مقاييس مختلفة، وذلك لهدم النظام النقدي للكلاسيكية الجديدة في أوروبا، وبذا انزاح اهتمام الأدب بالخلفية التاريخية، واتجه إلى منهج (شرح النصوص) .

وعلم الدلالة الحديث هو الفرع الذي يبحث في استخراج قوانين المعنى العامة، وهو العلم المنوط به رصد معنى الإشارات اللغوية (الكلمات) ، وإذا ما أوغلنا في تفحص مسائل علم الدلالة نجده يخصص الجزء الأكبر منها لمتابعة تطورات الدلالات وتغيرها، ولرصد المفردات بين المعجم والحالة التي تكون عليها في النصوص المختلفة ، وفي المقامات المتعددة بحسب التجارب اليومية المعاشة.

وأول المجالات التي يعالجها النقاد - النظريون - هي هيئة الكلمات في النصوص، فإن معناها ليس هو المعروف به في المعجم وإنما هو " جميع ما يحتشد من روابط ونغمات مستمدة من جميع أنواع المفهومات والتصورات، وصور الفكر والتقاليد البلاغية وأشياء أخرى يدركها التغير مع الزمن". فما دامت اللغة - وهي أداة الأدب - عرْفاً يقوم على الاتفاق، فهي تشهد تحولات في المعاني كلما تغير هذا العرف .

ولقد وجه دافيد ديتشيس - مؤلف كتاب (مناهج النقد الأدبي) - الدارسين ومن يعمل في النقد إلى إن يهتموا بالعلاقات المتداخلة بين المعاني ويتطرقوا إلى أدق صنوف تلك العلاقات، وأن يعنوا بأصغر العناصر في المبنى وبالإيماءات الجانبية وبالظلال التي لا يلمحها إلا قارئ عارف ذو تمرس ، وذلك إيماناً منه بأن التغير وعمليات التطور الدلالي حقيقة واقعة لا محال .

ولقد اهتم أصحاب (نظرية الأدب) بالسياق ، وذهبوا إلى أن معنى الشعر يعتمد على السياق ، فالكلمة لا تحمل معناها - فقط - معناها المعجمي، بل هالة من المترادفات والمتجانسات، والكلمات لا تكتفي بأن يكون لها معنى فقط، بل تثير معاني كلمات تتصل فيها بالصوت أو بالمعنى أو بالاشتقاق ، وذلك لأن اللغة مستودع

هائل من المعاني والتضمينات أو المعاني الإضافية ، وأن السياق هو الذي يسيطر على تلك التضمينات ، فيسمح لبعضها ، ويبعد بعضها الآخر باعتبارها غير واردة . مع الوضع في الاعتبار أن اللغة الشعرية قادرة على تضيق دلالة بعض الكلمات ، وفي الاتجاه نفسه قادرة على اتساع دلالة بعض الكلمات القديمة ، بل ابتكار كلمات جديدة ، وأيضاً الإتيان بمعانٍ جديدة لكلمات نتداولها ونعرفها (*) .

بين جهود المعجميين وجهود النقاد :

المقارنة بين صنيع أصحاب المعجمات وما جاء في النصوص النقدية ، تؤكد تميز النقد في تناولهم اللغوي؛ فصاحب المعجم أو المتن اللغوي - كما في الرسائل السابقة على المعجمات الكبرى - يلجأ إلى استقصاء يستوعب المواد جميعها ، ثم يربتها في نظام تتكامل فيه - سواء الألفبائي ، أو الصوتي أو البنيوي المعتمد على الصيغ الصرفية - وفي كل ركن يجهد ليصل إلى حصر ما يعرف من دلالات للفظ ومشتقات له . وهدف المعجمي (السرد) ، وأن تكن المعاجم العربية قابلة للتحليل الذي قد يؤدي إلى بيان معالم تطورية ضمن مادتها .

وإذا انتقلنا إلى صنيع (الشراح والنقاد) ، فإننا نلاحظ أن الأشعار هي التي تفتق وجوه النظر اللغوي ، فالشاعر يورد في أبياته ما يستدعي تبياناً وشرحاً ، فيشرع الناقد في عرض ما يمكن تسميته بالمعنى السياقي ، أو الدلالة التي يراها مناسبة للفظ أو التركيب المتناول ، ومن ثم يسعى إلى أن يعرض ملامح أخرى مفيدة للنص ، فيبين أولية الدلالة أو ارتباطها بمجالات أخرى ، أو يشير إلى الأصول الحسية المتحولة إلى أفق ذهني ، أو يبرز ما طرأ على الأصل القديم من عوامل تجعله ينكمش أو يتسع . وعلى الرغم من ذلك فإن متابعة التطور الدلالي في كتب النقد لا تعطينا التاريخ التفصيلي للتطور الدلالي .

الدلالة والصورة الأدبية :

اهتم البلاغيون والنقاد المحدثون بتحديد مفهوم الصورة ، ورغم اختلافهم على كونها تقع في الألفاظ ، أو بين طيات المعاني ، إلا أن القدماء منهم اتفقوا في تعريفها على الجانب الشكلي ، فربطوا بذلك بين (الصورة والشكل) ، أما المحدثون فتعددت آراؤهم حولها ، وحول أنواعها ومدى تأثيرها على دلالة النص . وسوف نكتفي بعرض آراء المحدثين ، وذلك كما يلي :

أ (مفهوم الصورة عند النقاد المحدثين :

لقد أخذت عناصر الصورة في النقد الحديث أبعاداً أكثر انفتاحاً وشمولية مما كانت عليه ، حيث توسع مفهومها في العصر الحديث إلى حد " أنه أصبح يشمل كل الأدوات التعبيرية مما تعودنا على دراسته ضمن علم البيان والبديع والمعاني والعروض والقافية والسرد وغيرها من وسائل التعبير الفني ، كما أن عناصر الصورة تجاوزت كل أركان البيان من استعارة وتشبيه وكناية إلى الطاقات القصوى للغة من إمكانات الدلالة والتركيب والإيقاع والمجاز وغيرها من وسائل التعبير الفني " .

(*) د. فايز الداية ، علم الدلالة النظرية والتطبيق ، ص ١٨٣ - ١٩٧ .

وبالرغم من هذا التنوع في فهم الصورة واتساع مفاهيمها فإنها داخل السياق الأدبي تظل محكومة بالبعد اللغوي، فهي تشكيلٌ أساسه الكلمة وعلاقتها مع باقي الكلمات ؛ فالصورة تتولد من توليف جديد للكلمات، وليس فقط من اختيار معين لها . وفي ظل هذا التوليف الجديد تتشكل كافة أنماط الصورة وتأخذ وظيفتها الفنية ضمن حدود اللغة الأدبية، يقول سي دي لويس: إن الصورة "رسمٌ قوامه الكلمات، وإن الوصف والمجاز والتشبيه يمكن أن يخلق صورة، أو أن (الصورة) يمكن أن تقدم إلينا في عبارة أو جملة يغلب عليها الوصف المحض .

ب) أهمية الصورة الفنية ودورها في إيضاح دلالة النص:

نشأت الحاجة إلى الصورة الفنية باعتبارها أداة لها طريقتها الخاصة في عرض المعاني مقترنة بألفاظ ؛ ليتفاعل المتلقي مع النص الأدبي ، ويندفع نحو السير وراء الصورة حتى يكتشف العلاقات القائمة بين اللغة والفكرة ، أو اللفظ والمعنى أو الشكل والمضمون ، ويكون طريق كشف هذه العلاقات هو التنقل في استنباط المعاني من سبل صياغتها في التشبيه والاستعارة والتمثيل والمجاز . مع الوضع في الاعتبار أن الصورة الفنية يمكن تتسع دلالاتها وتعدد معانيها .

والصورة الفنية أشبه بقلب لغوي صغير يحمل القارئ ليوصله إلى المعنى العميق المتحرك الذي قصده الأديب أو الشاعر ليشاركه الإحساس الذي يشعر به . وهي بذلك تفرض على المتلقي نوعاً من الانتباه واليقظة ، فينتقل من ظاهرة المجاز إلى حقيقته، ومن ظاهرة الاستعارة إلى أصلها ومن المضمون الحسي للكناية إلى معناها الأصلي المجرد ، ويتم ذلك كله خلال نوع من الاستدلال ينشط معه ذهن المتلقي ، ويشعر إزاءه بنوع من الفضول يدفعه إلى تأمل علاقات المشابهة أو التناسب التي تقوم عليها الصورة حتى يصل إلى معناها الأصلي .

ج) مكونات الصورة :

توسّع الجرجاني في سرد مكونات الصورة ، فيرى أنها متعددة العناصر، فقد تعتمد على الأنواع البيانية المعروفة ، وقد تعتمد على أشكال أخرى ، كالتقديم والتأخير أو القصر أو الخبر أو الإنشاء ونحو ذلك . لكنه يعتبر الأنواع البيانية من مجاز واستعارة وكناية وتشبيه أهم العناصر المكونة للصورة .

مثال :

في قوله : " وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا " نجد الجرجاني يحلل الصورة وفق مفهومه لها في ربطها بالصياغة الفنية ، ولا ينظر إليها من خلال ألفاظها المفردة ، ويرى أن الناس يرجعون جمال هذه الصورة إلى الاستعارة دون سواها ، ولم ينظروا إلى الصورة من خلال جمال النظم ، فالإسناد الوارد في الصورة هو مصدر جمالها وحسنها ، فلو قيل : " واشتعل شيب الرأس " ، ما بقي للصورة هذا الحسن والجمال ، ويعلل الجرجاني سر الجمال في إسناد الاشتعال للرأس بأنه " يفيد - مع لمعان الشيب في الرأس الذي هو أصل المعنى - الشمول ، وأنه قد شاع فيه وأخذ من نواحيه " .

د) أثر الصورة الفنية في التطور الدلالي :

تعدد الروافد الشعرية والأدبية أكسب اللغة رصيذاً من المعاني السامية ، والمجازات الشريفة ، والتشبيهات والاستعارات والأمثال والكنايات البليغة التي يستعين بها الشاعر أو الأديب في التعبير عن أغراضه بأسمى المعاني وأشرفها .

الرمز اللغوي والرمز الأدبي :

المقصود بـ (الرمز اللغوي) الكلمات التي نستخدمها بدلالاتها المعجمية التي تقدمها المعاجم ، والتي يعرفها أبناء اللغة من استعمالهم لها، فكلمات اللغة عبارة عن رموز صوتية اصطاحت عليها الجماعة، أو لنقل - بعبارة أخرى - : «إن الدال، أي الصورة الصوتية، إن هو إلا رمز أو علامة عن الشيء، يغني عن استحضاره عند التفاهم».

أما (الرمز الأدبي) فيستخدم في للدلالة على معنى غير معناه المعجمي، ويعني ذلك أن الرمز الأدبي يستخدم الرمز اللغوي استخداماً رمزياً، شريطة وجود علاقة بينهما ، سواء أكانت هذه العلاقة من علاقات المجاز المعروفة أو لم تكن، فاستخدام (المطر) رمزاً للخير يمكن أن يدخل في باب المجاز المرسل، واستخدام (الغروب) رمزاً للموت يمكن أن يدخل في باب التشبيه أو استعارة على أساس أن الغروب هو نهاية اليوم، وهو وقت الأفول، كما أن الموت نهاية العمر، لكننا لا نستطيع أن نجد علاقة من علاقات المجاز المألوفة في استخدام (الحمام) رمزاً للسلام، كما لا نستطيع أن نصنف قول شوقي:

وللحرية الحمراء باب بكل يد مضرجة يدق

في إحدى تصنيفات المجاز المعروفة، رغم وضوح الدلالة الرمزية في البيت ، مما يعني أنه رغم التداخل بين مصطلحي الرمز والمجاز، فالمعنى ليس واحداً، وقد يتفقان كما قد يختلفان، حيث إن علاقات المجاز محددة في البلاغة العربية تحديداً صارماً.

ولأن عملية الترميز من صفات الإنسان الرئيسة فإنه لا يكاد يتوقف عنها، فالإنسان كائن منتج للرموز، وليس معنى أنه يرث اللغة عن الجماعة التي ينتسب إليها أن طاقته على إنتاج الرمز قد توقفت، فهناك رموز جديدة دائماً، نتعرف إليها عند ظهور كلمات جديدة، أو عند دراسة مبحث التغير الدلالي ؛ حيث تتغير الدلالات بتغير الزمان والمكان، كما نتعرف إليها عند دراسة الأدب؛ حيث يحتوي الأدب دائماً على رموز مبتكرة، قد تصبح لاحقاً جزءاً من الدلالات العامة للغة.

الاستعارة اللغوية والاستعارة الأسلوبية

أ) التحول الدلالي في الاستعارة :

لقد كانت الحاجة المجتمعية والفردية أهم البواعث وراء تطوّر معاني الألفاظ والتراكيب وتحويل دلالتها، وكان أسلوب الاستعارة إحدى الأساليب المناسبة للتعبير عن هذه الحاجات النفسية والثقافية والاجتماعية؛ لدوره في فتح أفق تداولي جديد، تتحقق معه العملية التواصلية، ولقدرته على تفسير الظواهر الثقافية والأنساق المعرفية، لإمكاناته اللغوية المتنوعة التي تسهم في رفع اللغة من درجتها التواصلية العادية إلى درجة الكثافة التعبيرية والتصويرية الدقيقة.

شروط التحول الدلالي في الاستعارة:

- عند البلاغيين العرب القدامى :

قامت تعريفات البلاغيين العرب القدامى للاستعارة بشكل عام، على أساس أنّها تجاوز في التعبير بالدلالة اللغوية المتواضع عليها إلى التعبير بدلالة ثانية مستعارة، حيث يتجاوز المتكلم الدلالة الأولية أو الأصلية التي تربط الوحدات اللغوية إلى دلالة أخرى ثانية أو فرعية، بغية الاتساع في القول والمبالغة فيه والافتنان به، وبذلك عُدَّت الاستعارة (انتقال دلالي)، تتحوّل بواسطته (الدلالة الأصلية) للكلمة إلى (دلالة أخرى)، لأغراض محددة ترتبط بمقصدية المتكلم، وسياق الكلام، ومقام المتلقي، وقد كان الحرص على جعل التحول الدلالي حقاً من حقوق الجماعة، خاضعاً لأعرافها ومواضعاتها، لذلك لم يكن ليصحّ هذا التحول، إلّا إذا قام على علاقة منطقية تربط بين طرفيها - المستعار منه والمستعار له -، فبحث النقاد والبلاغيون عن التناسب العقلي والمنطقي الذي يجمع بين هذين الطرفين، وحرصوا على التأكّد من المعنى والصفات المشتركة بينهما حرصهم على التشبيه وضوابطه، وقالوا: " إنّما تصح الاستعارة وتحسن على وجه من المناسبة وطرف من الشبه والمقاربة ؛ فالعرب تستعير الكلمة فتضعها مكان الكلمة ، إذا كان المسمى بها بسبب من الأخرى أو مُجاوراً لها أو مُشاكلاً . فيقولون للنبات: نوعٌ لآئه يكون عن النوع عندهم " .

ويمكن إيجاز ما سبق بقولنا إن البلاغة القديمة وضعت شرطين لتحقيق الاستعارة أولهما (نقل) لفظ من معناه الأصلي لمعنى آخر ، وثانيهما وجود علاقة (تشابه) بين المعنيين الحقيقي والاستعاري .

- عند البلاغيين الغربيين القدامى :

والأمر نفسه نجده عندهم ؛ حيث لم تبتعد البلاغة الغربية التقليدية في تعريفها الاستعارة عن مبدأ (النقل) الذي قال به أرسطو، فالاستعارة عند معظم البلاغيين الغربيين القدامى لا تخرج عن كونها عملية (تحويل) اسم شيء إلى شيء آخر، عبر علاقة مماثلة . ومصطلح (التحويل) Transference في هذا التعريف الذي تبنّته البلاغة الغربية التقليدية لا يختلف في دلالته عن مصطلح (النقل) في البلاغة العربية.

- المفهوم الحديث للاستعارة :

لقد عملت البلاغة الحديثة ممثلة بالأسلوبية على إحلال النموذج الدلالي محلَّ النموذج المنطقي الذي أرسى قواعده أرسطو ؛ لأنَّ الجانب الدلالي هو الذي تهتم به الأسلوبية . بيد أنَّ الدراسات الحديثة التي بحثت في موضوع الاستعارة لم تُسفر كُلُّها عن إخراج الاستعارة من حيز الفهم التقليدي الذي اصْطَبَغَ بصبغة منطقية، إذ يرى رومان جاكسون أنَّ الاستعارة علاقة استبدالية على المحور اللفظي، وأنها تقوم على المشابهة والاستبدال !

ب) بين الاستعارة اللغوية والاستعارة الأسلوبية :

قد تعرَّضتْ نظرية (الاستبدال) في البلاغة الغربية إلى انتقادات جذرية حاولت تفنيدها كلياً، وأخرى جزئية حاولت تصحيح مسارها وتقويمها، وكان (بول ريكور) من منتقدي هذه النظرية، فهو لا يرى وجوب ربط علاقة المشابهة بنظرية الاستبدال ، ويذهب إلى أنَّ (التجدد الدلالي) - وهو ما تسعى إليه الأسلوبية - يكمن في إيجاد علاقات بين فكرتين مُعَيَّنَتين على الرغم من تباعدهما المنطقي، فتكونُ الاستعارة عندهُ مبنية على اختراع الشبه بين الأشياء المتناقضة أو المختلفة، فهي تسعى إلى إدراك المُتشابه (المُماثل) من خلال غير المُتشابه (غير المُماثل).

ومن بين المنتقدين لنظرية الاستبدال (ريتشاردز) الذي رَفَضَ عملية الاستبدال الاستعاري، وأحلَّ محلَّها عملية (التفاعل الاستعاري) ؛ فالاستعارة عنده (جمع لفكرتين مختلفتين تعملان معاً، وتُسندان إلى كلمة واحدة أو عبارة واحدة يكون حاصلُ معناها ناتجاً عن تفاعل هاتين الفكرتين) ، واتَّخَذَ ريتشاردز عملية (التفاعل الدلالي) منطلقاً لنظريته الاستعارية يهدمُ من الأساس فكرتي الاستبدال والمُتشابه اللتين اعتمدت عليهما (نظرية الاستبدال) في تشكيل الاستعارة وبنائها ، وحطمت القيود المنطقية التي فرضتها البلاغة القديمة ، والتي منها ضرورة أن يكون الشبه في الاستعارة مما ألفه الناس وعرفوه ؛ حتى يسهل على المتلقي الوصول إلى ما تدل عليه الاستعارة من معنى.

وفي الوقت نفسه فإن نظرية (التفاعل الاستعاري) قد عملت على انفتاح الاستعارة على كل ما ينتجه التفاعل من دلالات دون انغلاقه على مجال دلالي مُحدَّد بعلاقة واحدة ، هي علاقة (التشابه) هي التي تبنتها البلاغة القديمة.

ويُعد ريتشاردز أوَّلَ مَنْ تَبَنَّى عملية التفاعل الدلالي بين طرفي الاستعارة ، ولم يكن مقتنعاً بجعل بنية (المُتشابهة) أساساً وحيداً تُبْنَى عليه الاستعارة سواء في الجمع بين المُتشابهات ، أو في الجمع بين المتباعدات أو المتناقضات الذي يتَّخَذُ من التشبيه وسيلة للتوفيق بينها ، فَقَدْ ذَهَبَ ريتشاردز إلى أنَّ الاستعارة ليست فقط تحويلاً أو نقلاً لفظياً لكلمات معينة وإنما هي كذلك تفاعل بين السياقات المختلفة .

لذا تَعَدَّتِ الاستعارة في ضوء بنية التفاعل الدلالي التي تبنتها البلاغة الجديدة حدود اللفظة الواحدة إلى السياق التركيبي الذي ترد فيه مع ألفاظ أخرى لتتجاوز الاستعارة بذلك بنية (الاستبدال والمُتشابهة) إلى بنية جديدة هي بنية التفاعل بين (البؤرة) و(الإطار) ، فالبؤرة هي (الكلمة الاستعارية)، والإطار هو (الكلمات التي تأتلف معها البؤرة في سياق ما) .

المعجم الشعري

لا شك أنَّ مستويات اللُّغة متباينة من شاعر لآخر، فإنَّ لكل شاعر أو أديب قاموسه الإبداعي الخاص ، أو (معجمه الشعري) الذي يجعله متميزاً بلغة راقية ، والتي تُعتبر العين الحارسة للنص الشعري ، بل هي دستور السياسة الشعرية له.

تعريف المعجم الشعري :

يُقصدُ بالمعجم الشعري تلك الألفاظ التي يكثر دورانها في قصيدة شاعر أو مجموعة من الشعراء حتى تصبح ملمحاً أسلوبياً له بصفة خاصة أو لهم بصفة عامة .

والقضية الأساسية التي يركز عليها المعجم الشعري هي مقارنة اللفظ بمدلوله، وصيرورته من حيث وُزوده في شعر الشاعر بنفس المعاني مرات عديدة .

ويخرج الشاعر من طبع الكلمات المألوفة بأوضاعها القاموسية المتجمدة إلى طبيعة جديدة، يفرضها عليه تطور المعاني، والدلالات التي خضعت لها التجربة الشعرية في وجدانه، ومن ثمة يحقق في نفس السامع وجوداً، وتداعياً مناسباً.

أوجه التشابه بين المعجم اللغوي والمعجم الشعري :

يتشابه المعجم الشعري والمعجم اللغوي من حيث أنَّ كليهما مصدر للغة، بيد أن المعجم الشعري لا يقف عند البحث عن معنى الكلمة، بل يتعداه إلى الخروج عن الدلالة الأصلية إلى البحث في الجذر اللغوي الذي قد ينحرف عن المعنى الشائع، والمتداول.

مكانة مؤلف النص عند دراسة معجمه الشعري :

عند دراسة المعجم الشعري لشاعر ما يجب أن نبتعد عن مُنزلقٍ يَتمثلُ في قَضِيَّة «مَوْتِ الْمُؤَلِّفِ»، إذ يجب أن نَسعى - من خلالِ رَصْدِ المَفْرَدَاتِ فِي حُقُوهَا المُخْتَلِفَةِ - إلى أَنْ تَصِلَ إِلَى رُؤْيَا الشَّاعِرِ لِعَالَمِهِ وَوَاقِعِهِ، وَمَوْقِفِهِ مِنَ الْقَضَايَا الْمَحِيطَةِ بِهِ عَلَى تَعَدِّدِ مُسْتَوِيَاتِهَا ؛ فَحُضُورُ الْمَبْدَعِ حُضُورٌ لِدَاتٍ مُتَكَلِّمَةٍ وَفَاعِلَةٍ لِدَوْرِهَا الْإِنْتَاجِي الَّذِي تُمَارِسُهُ مِنْ خِلَالِ اللُّغَةِ.

من ملامح جودة المعجم الشعري للأديب :

الشاعر الحاذق هو من تتباين الألفاظ الشعرية لديه تبايناً ملحوظاً حسب تنوع المواضيع التي يتناولها؛ إذ أنَّ لكلَّ غرض ألفاظ خاصة به، ومن ذلك أن غرض الغزل يتطلب ألفاظ الرقة والمشاعر، وغرض الفخر يستدعي الفخامة والجزالة المناسبة للقوة والحماسة، وهذا ما يجعل الشاعر قادراً على امتلاك الأداة اللغوية، فيستطيع توجيه أغراضه جميعاً لما يناسبها.

فوائد دراسة المعجم الشعري لدى الشعراء :

تعود فائدة دراسة المعجم الشعري على لغة الشعر بالنفع، والتطور لما له من أهمية في معرفة الدلالة الخفية للألفاظ ، وتنوع حقول استعمالاتها ، ومراميها .

كما يهدف إلى تكامل التصنيفات المهمة بإحصاء عناصر اللغة، وربطها بالظواهر الأسلوبية القائمة على حصر الاستعمالات اللغوية، وبيان علاقة ذلك بالمرجعية الثقافية، والفكرية ، ومن ثمة يكتسي العمل الشعري بصبغة دلالية متنامية ، وذلك يجعل اللغة مواكبة للتطور الحضاري، والسياق التركيبي الذي يصف الظواهر، ويحاكي الواقع والموجودات.

- أسس بناء المعجم الشعري:

في دراسة العجم الشعري يسعى الباحث نحو تفكيك بنية النص إلى وحدات معجمية تتمتع بنسب تكرر عالية، وتمثل هذه الوحدات المعجمية مفاتيح للنص ؛ إذ إنها تقوم بفك شفرته الجمالية وتضع أيدينا على الموقف الشعري المتمثل في أعمال الشاعر كلها. مع ملاحظة عدم الانزلاق في فخ عزل الكلمة من سياقها بحجة رصدها الإحصائي، والأفتصار على جدولتها: إذ إن الألفاظ في القاموس «جُثت موتى، لكنها تحيا في البنيان اللغوي ، فتستمد معانيها وإحياءاتها من السياق» .

علاقة المعجم الشعري بالحقول الدلالية :

يعمل المعجم الشعري على رصد الكلمات ذات الحقل الواحد، ومقارنتها باللغة، ومن ثمة ربط كل كلمة بمعناها، وإيضاح علاقتها بمدلولها.